جامعة محمد خيضر بسكرة
كليّة العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية

مذكرة ماستر

تخصّص:فلسفة عامة

إعداد الطالب:
فطيمة قرفي

يوم:04/10/2020م

فكرة الحرية عند "زكي نجيب محمود"

لجنة المناقشة:

كشكار فتح الله	أ.مح ب	جامعة بسكرة	رئيسا
حميدات الصالح	أ.مح ب	جامعة بسكرة	مقررا
زيان محمد	أ.مح ب	جامعة بسكرة	مناقشا

السّنة الجامعيّة:2019م/2020م

شكر وعرفان

وصلت رحلتي الجامعية إلى نهايتها، وتوقف قطار الدراسة عند آخر محطة بعد جهد جهيد، وبعد تعب ومشقة؛ وها أنا ذا أختم بحث تخرجي بكل نشاط وتألق، لابد لي وأنا أخطو خطواتي الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة تعود لأعوام قضيتها في رحاب الجامعة مع الأساتذة الكرام، وقبل أن أمضي قدما: أتقدم بأسمى التهاني وأحلى آيات الشكر والتقدير إلى الذين مهدوا لي طريق العلم والمعرفة إلى جميع أساتذتي الأفاضل في كلية العلوم الاجتماعية وخاصة أساتذة قسم الفلسفة، وأتوجه بجزيل الشكر إلى الأستاذ الفاضل أطال الله في عمره "حميدات الصالح" الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث فجزاه الله كل خير وله مني كل التقدير والاحترام.

وأخص بالذكر: أبي الذي أحمل اسمه بكل فخر وجلال وأهديه هذا النجاح؛ أبي سراج طريقي ومؤنسي شفاك الله ورعاك وأذهب عنك البأس، وأما فرحة نجاحي وتخرجي لطالما انتظرتها؛ أقف اليوم على منصة النجاح وأنا متمنية لو كنت معي في هاته اللحظات والله ما أوحش الدنيا التي خلت من صوتك وحنانك وعطفك، إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى قوتي ونور دربي أمي حبيبتي، إلى رياحين حياتي إخوتي، إلى الروح التي سكنت روحي خطيبي، والآن؛ ترفع الأقلام وتفتح الأشرعة وترفع المرساة لتنطلق السفينة في عرض البحر الواسع المظلم، بحر الحياة، في ظلمة لا يضيئها إلا قنديل الذكريات، ذكريات الأحبة البعيدة، إلى الذين أحببتهم وأحبوني أصدقائي، كما أهدي تحيتي الخالصة وأهدي هذا النجاح إلى نفسي التي تعبت من أجل الوصول إلى هذا الدرب الأعلى.

مقدِّمة

مقدّمة

لقد فتحت أبواب عصر جديد واستيقظت الأمة العربية الإسلامية من سباتها العميق الذي دام لسنوات، وهو يمس الحياة الاجتماعية التي غاب فيها الإبداع والتطور وشاعت فيها ثقافة تقليد الغرب حينما كان العقل عاجز عن أداء مهامه.

كانت بداية القرن التاسع عشر تمثل نقطة تحول في التاريخ العربي الإسلامي؛ فما شهدته الأمة العربية يعد بداية نهوض الوعي من الواقع المزري الذي عاشته الدول العربية من جهل وخرافة وتخلف وظلم، الذي كان يسيطر على الحياة الاجتماعية المتدهورة والحياة الفكرية والسياسية لدرجة تخليها عن التراث والأصالة.

ولقد كانت تلك الصحوة التي شهدتها الأمة العربية آنذاك تمثل بداية عصر جديد يشق طريقه نحو المعاصرة، وذلك منذ انطلاق حملة نابليون بونابرت الفرنسية على مصر التي كانت سببا في جعل البعض يقارن حياتهم المزرية من تخلف وجهل وضعف وما وصل غليه الأوروبيون من واقع متقدم، وانطلاقا من تلك المقارنة التي شهدها العرب لواقعهم المتقهقر بإدراك نقصهم وتخلفهم، بدأت البعثات العلمية إلى أوروبا التي ظهر فيها جيل من المفكرين حاولوا من خلالها دراسة مشكلة التخلف ومعالجة واقعهم المتدني، مما زاد تعدد زيارات المثقفين العرب إلى البلدان الغربية واطلعوا على ثقافتها وآدابها.

وانطلاقا مما مرت به الدول العربية من انحطاط وضعف حضاري ومن المستعمر الأوروبي والحالة المتدهورة التي شهدتها على مختلف الجوانب الفكرية، السياسية والاقتصادية ظهرت العديد من الاتجاهات والنزعات التي تحاول إخراج الأمة العربية من أزمتها المعيشية، حيث تعددت الآراء والجهود بين المفكرين العرب في العصر المعاصر الذين حاولوا البحث عن مخرج للواقع العربي المتأزم ومحاولة التغيير للواقع الفكري بما يتماشى مع روح العصر بالرغم من أن كل التوجهات تحاول الوصول إلى هدف واحد، ومع محاولة الإجابة على الفرق بين ما الذي جعلهم في تقدم وما الذي جعل البلاد العربية في تخلف، أخذ المثقفين العرب

يتجهون بكتاباتهم نحو معالجة قضية الحرية من مختلف الجوانب المتعددة والتي كانت قد اكتسبت دلالات جديدة منذ نهاية الحرب العالمية الأولى.

اتسعت الحركات الفكرية بين المفكرين لإنقاذ الواقع المتردي، وتفرعت عن ذلك قضية أساسية وهي تحرير الوطن؛ بحيث ظهرت تيارات تنادي بالحرية على أساس التقدم والتطور وكبرت دائرة المطالبة بالحريات المختلفة في ساحة الوطن العربي، وانطلقت الرؤية لهاته الفكرة التي أصبحت قضية أساسية تطغى على لسان كل مفكر عربي مما زاد اهتمام البعض في محاولة دراستها وربطها بالواقع الذي تعيشه الأمة العربية الإسلامية عامة والمصرية خاصة، فمن أبرز فلاسفة العرب المعاصرين نجد الدكتور المفكر زكي نجيب محمود الذي كانت له مسيرة فكرية طويلة مليئة بالأحداث حاول من خلالها دراسة الواقع العربي ومحاولة تحريره من التخلف والهيمنة الغربية وتوضيح فكرة الحرية ومحاولة تطبيقها، ووضع مخطط لرسم طريق للحرية؛ حيث اعتبر أن تحرير الوطن من الجمود الفكري يكون عن طريق الحرية.

وانطلاقا من هذا الطرح اعتمدنا على الإشكالية التالية:

- ما هي فكرة الحرية عند زكي نجيب محمود؟
- هل استطاع زكي نجيب محمود تطبيقها على ساحة الوطن العربي؟

-أسباب اختيار الموضوع:

لقد كانت هناك العديد من الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع، منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي؛ فمن الناحية الذاتية يتعلق بشدة إعجابي بمواضيع الفكر العربي المعاصر، والتعرف على أفكار وأراء أهم عمالقة وأقطاب الفكر العربي الكبار والذين من بينهم المفكر العظيم أديب الفلاسفة زكي نجيب محمود الذي يتميز بنزعته التوفيقية بين الثقافة العربية والثقافة الغربية، والتعرف على شخصية من أعظم الشخصيات التي يتميز بها الوطن العربي، أما من الناحية الموضوعية فيعود إلى قيمة الموضوع الهامة التي تشكل موضع بحث وخاصة في الفكر العربي المعاصر، والإطلاع على المشاكل التي تعانيها المجتمعات العربية

في واقعها اليومي وعلى الأزمات التي شهدها الفكر العربي.

- أهمية البحث:

من نافلة القول أن ما أسعى إليه هو دراسة فكر أحد أهم المفكرين العرب المعاصرين، والوقوف عند أهم المحطات الفكرية التي مر بها فكره خلال مسيرة حياته، قصد تزويد القارئ أو الباحث بالمعلومات الكافية والوفيرة، وإعانة الطلبة الباحثين في قضايا هذا الفكر، وخاصة بتزويد مكتبة الجامعة بأهم أفكار الفكر العربي المعاصر محاولة-أنا-من خلال هذا البحث البسيط الكشف عن قضايا الفكر العربي المعاصر التي حاول زكي نجيب محمود تجسيدها في الواقع العربي وإخراجه من أزمة التخلف، وإيجاد حل لهاته الأخيرة.

ولقد اعتمدت على منهجين في معالجة هذا الموضوع وهما المنهج التاريخي من خلال التعرف على حياة زكي نجيب محمود وسرد أحداثها والتعرف على أهم المحطات التي مر بها فكره، والمنهج التحليلي من خلال تحليل وتجزيء فكرة الحرية والظروف المزرية التي عاشتها مصر والوطن العربي عموما.

وقد استعنت بالعديد من المؤلفات المهمة من بينها مصادر لزكي نجيب محمود وأهمها: قصة نفس، قصة عقل، حصاد السنين، مجتمع جديد أو الكارثة، عن الحرية أتحدث، تجديد الفكر العربي، بالإضافة إلى العديد من المراجع التي لها علاقة مع الموضوع المطروح منها: رحلة في فكر زكي نجيب محمود لإمام عبد الفتاح إمام، الفلسفة المعاصرة في أوروبا لبوشنسكي، معجم جميل صليبا، ومعجم مراد وهبه، وغيرها من المؤلفات...

وانطلاقا من جملة المصادر والمراجع المعتمدة والإشكالية المطروحة، اعتمدت الخطة التالية والتي كانت قائمة على ثلاثة فصول: الفصل الأول والمعنون بالظروف العامة التي نشأ فيها زكي نجيب محمود، واندرج تحته مبحثين حاولنا من خلالهما الوقوف على أهم المحطات أو الأحداث التي مر بها مفكرنا المصري من خلال حياته، نشأته وتعليمه ومؤلفاته وأهم المناصب التي تقلدها، كما يندرج تحت هذا الفصل في المبحث الثاني أهم المراحل الفكرية

التي مر بها مفكرنا على اعتبار أن حياته الفكرية تغيرت من مرحلة تبنيه للوضعية المنطقية إلى مرحل العودة إل التراث والأصول. أما الفصل الثاني فكان تحت عنوان الأسس والدوافع التي بنى عليها زكي نجيب محمود مفهوم الحرية، وتمثل في مبحثين؛ المبحث الأول عنوناه بالأسس التي بنى عليها مفهوم الحرية، أما المبحث الثاني فجاء تحت عنوان الدوافع التي أدت بنجيب محمود لكتابة فكرة الحرية، أما الفصل الثالث، فكان عنوانه مفهوم الحرية وانعكاساتها في مختلف الميادين، واحتوى على مبحثين، المبحث الأول بعنوان الحرية وتعدد المفاهيم، والمبحث الثاني كان بعنوان انعكاساتها في مختلف المجالات.

وانطلاقا مما قمنا به في هذا العمل الموجز، كانت قد واجهتنا بعض الصعوبات ونحن بصدد إنجاز هذا البحث منها؛ نقص الخبرة في إنجاز مذكرة التخرج، وغزارة التأليف عند نجيب محمود مما أدى إلى صعوبة التحكم في المعلومات وضبط الأفكار.

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت، بتقديم ولو شيء قليل من الكنز الوفير الذي يمتاز به مفكرنا العظيم رحمه الله، وأتمنى أن تكون نتيجة نجاحي هذه سوى قطرة ماء في بحر النتائج...

الفصل الأول: الظروف العامة التي نشأ فيها زكي نجيب محمود

المبحث الأول: حياته بين النشأة والتعليم

المبحث الثاني: المسيرة الفكرية لزكي نجيب محمود

تمهيد

إنه لمن الطبيعي أن البحث في فكر أي مفكر أو فيلسوف غالبا ما يدفعنا للرجوع إلى الماضي؛ لمعرفة الظروف العامة التي عاش وترعرع فيها، ومعرفة الخلفيات التي قام عليها فكره، والبدايات الأولى التي تأسس عليها؛ وبمعنى أبسط معرفة النظريات التي استقى منها فكره وبنى عليها أهم إنجازاته، لأن اللبنة الأولى لدى الفلاسفة والمفكرين تكمن في البدايات الفكرية التي انطلقوا منها، فهناك من يتبنى فكرة ماضية ويضيف إليها بعض التعديلات الطفيفة، وهناك من يرفضها ويأتي بالجديد من منوره الخاص على أساس أنها فكرة أو نظرة مخالفة وناقدة.

ومن أهم الفلاسفة والمفكرين العرب المعاصرين الذين كانت لهم نظرة فكرية مثيرة في ساحة الوطن العربي من خلال التحولات المختلفة التي شهدها طوال مراحل حياته، نجد فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة الرائد الفيلسوف والدكتور المصري زكي نجيب محمود؛ الذي امتازت حياته الفكرية بالإبداع والتشويق وكانت حافلة بالعمل العظيم، فقد مر نجيب محمود في حياته بالعديد من المحطات الهامة والمختلفة، وذلك قبل أن يحدد مسيرته الفكرية التي ختمها بالعديد من الأعمال والمؤلفات التي تحدث فيها عن مسيرة حياته؛ والتي قد أثرت في فكري مما جعلني أطلع أكثر على قراءاته المتعددة. فيا ترى ما هي الظروف المعيشية التي نشأ فيها المفكر زكي نجيب محمود؟ وما هي أهم المراحل أو الأطوار الفكرية التي مر بها طيلة حياته؟

المبحث الأول: حياته بين النشأة والتعليم

أولا:حياته

نشأ المفكر المصري **زكي نجيب محمود** في قرية ميت الخولي عبد الله التابعة لمركز الزرقاء بمحافظة دمياط المصرية في 1 فبراير 1905، في أسرة متدينة، تلقى أولى مراحل تعليمه في كتاب الشيخ ربيع وحفظ شيئا من القرآن[1]، وبعد أن انتقلت أسرته إلى القاهرة دخل مدرسة السلطان مصطفى الأولية بميدان السيدة زينب بالقاهرة[2]، وبعد ذلك انتقلت أسرته إلى السودان وهناك أكمل تعليمه بكلية غوردون في الخرطوم وأمضى سنتين في التعليم الثانوي، ثم عاد بعدها إلى مصر ليكمل تعليمه الثانوي ويلتحق بعدها بمدرسة المعلمين العليا والتي قضى فيها أربع سنوات[3].

وفي سبتمبر 1944، سافر إلى إنجلترا في بعثة دراسية والتحق بجامعة لندن لنيل الدراسات العليا في قسم الفلسفة والتي حصل خلالها على البكالوريوس الشرفية في الفلسفة من الدرجة الأولى؛ وهي حسب جامعة لندن بمثابة ماجستير، كما تحصل بعدها على درجة الدكتوراه في الفلسفة في كلية الملك بجامعة لندن من خلال أطروحته التي كانت تحت عنوان" **الجبر الذاتي**" عام 1947، والتي ترجمها إلى العربية الأستاذ الدكتور إمام عبد الفتاح إمام عام 1973[4].

سافر قبل ذلك إلى إنجلترا في بعثة صيفية لمدة ستة أشهر عام 1936[5]، ثم عاد إلى مصر في خريف 1947، ونقل إلى جامعة القاهرة وكان اسمها آنذاك جامعة فؤاد الأول؛ عمل بها أستاذا غير متفرغ ودرس بقسم الفلسفة في كلية الأدب، وظل بها حتى أحيل على التقاعد عام

---

[1] إمام عبد الفتاح إمام، رحلة في فكر زكي نجيب محمود، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، 2001، ص19.

[2] زكي نجيب محمود، قصة عقل، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1988، ص101.

[3] زكي نجيب محمود، قصة نفس، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1993، ص ص52-53.

[4] زكي نجيب محمود، حصاد السنين، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2005، ص9.

[5] زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابق، ص35.

1956[6]، ثم انتقل من جامعة القاهرة إلى الكويت بدعوة من جامعتها في سبتمبر 1968، وعمل بها أستاذا للفلسفة لمدة خمس سنوات[7].

وإلى جانب عمله الأكاديمي سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وعمل أستاذا زائرا في حوالي العام الجامعي 1953-1954[8]، بجامعتي كارولينا وبولمان بولاية واشنطن[9]، وفي عام 1954عين ملحقا ثقافيا بالسفارة المصرية بواشنطن[10].

وإضافة إلى هذا المسار الذي مرت به حياة مفكرنا زكي نجيب محمود فإنه اتصل بالصحافة منذ وقت مبكر[11]، فبدايته كانت مع **مجلة الرسالة** التي أنشأها الأديب الكبير **أحمد حسن الزيات** في أول عام 1933، فما إن صدر العدد الأول من الرسالة أخذ يرسل إليها مقالات متلاحقة ذات طابع فلسفي أسبوعا بعد آخر؛ وعن طريق اتصاله بمجلة الرسالة تعرف على **الأستاذ أحمد أمين**، وهنا توثقت صلتهما ببعض ليضمه عضوا معه في لجنة التأليف والترجمة والنشر التي كان يترأسها؛ وهي لجنة ثقافية تأسست عام 1914، وهنا تعاونا معا على إخراج أو تأليف سلسلة من الكتب تعرض الفلسفة في أسلوب سهل واضح، وما هي إلا أشهر قليلة كان كتاب" **قصة الفلسفة اليونانية**" معدا للطبع وذلك عام 1935، وبعده بما لا يزيد عن عام وبعض عام كان الكتاب الثاني بجزأيه" **قصةالفلسفة الحديثة**"[12]، ثم بعد ذلك تعاونا على إخراج كتاب جديد بعنوان" **قصة الأدب فيالعالم**"[13]، وبعد عودته من الكويت جاءته دعوة من **جريدة الأهرام** ليكون عضوا فيها، حيث انضم إلى أسرتها الأدبية وشارك بمقاله الأسبوعي الذي كان ينشره على صفحاتها كل ثلاثاء[14].

---

[6]زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابق، ص ص57-58.

[7]زكي نجيب محمود، حصاد السنين، مصر سابق، ص14.

[8]زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابق، ص85.

[9]إمام عبد الفتاح إمام، مرجع سابق، ص76.

[10]زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابق، ص85.

[11]زكي جيب محمود، قصة نفس، مصدر سابق، ص100.

[12]زكي نجيب محمود، قصة عقل، المصدر نفسه، ص ص24-25.

[13]زكي نجيب محمود، المصدر نفسه، ص51

[14]زكي نجيب محمود، حصاد السنين، مصدر سابق، ص15.

ثانيا: مؤلفاته

كانت حياة **زكي نجيب محمود** زاخرة بالعديد من المؤلفات التي عبرت عن إنتاجه العظيم طيلة مسيرة حياته الحافلة بالأحداث، حيث ترك أكثر من أربعين كتابا في مختلف الميادين من بينها:" **كتاب جنة العبيط**" الذي صدر عام 1947[15]، وكتاب" **خرافةالميتافيزيقا**" الذي صدر عام 1953، وكتاب عن" **برتراند راسل**" صدر عام 1956، كتاب عن" **ديفيد هيوم**" صدر عام 1958[16]، كتاب" **الشرق الفنان**" صدر عام 1960[17]، كتاب" **قصة نفس**" صدر عام 1965[18]، وغيرها من الكتب...

ترجم كذلك عن الإنجليزية **أربع محاورات لأفلاطون**، وهي المحاورات التي توصف أحيانا **بأنها المحاورات السقراطية[19]**، كذلك ترجم إلى العربية **مقال فنون الأدب**، وترجم كذلك الكتاب الضخم الذي ألفه جون ديوي" **المنطق نظرية البحث**"[20]، وكتب عدة مقالات من بينها: **مقال هجرة الروح** في 17يناير 1944[21]، **مقال بيضة الفيل[22]**، **ومقال درس فيالتصوف** الذي نشره في مجلة الرسالة في 03مارس1941.

[15]زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابق، ص36.
[16]زكي نجيب محمود، المصدر نفسه، ص102
[17]زكي نجيب محمود، المصدر نفسه، ص176.
[18]زكي نجيب محمود، قصة نفس، مصدر سابق، ص5.
[19]زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابق، ص26.
[20]زكي نجيب محمود، المصدر نفسه، ص113.
[21]زكي نجيب محمود، المصدر نفسه، ص30.
[22]زكي نجيب محمود، المصدر نفسه، ص41.

ثالثا: الجوائز التقديرية التي تحصل عليها.

نتيجة للأعمال الجبارة التي قام بها **الدكتور زكي نجيب محمود،** نجد أن إنتاجه قد لقي تقديرا كبيرا من طرف مختلف الهيئات العلمية؛ حيث حاز على العديد من الجوائز والأوسمة من بينها: **جائزة الدولة التشجيعية في الفلسفة** عام 1960 عن كتاب" **نحوفلسفة علمية**"[23]، كما تحصل على **جائزة الدولة التقديرية في الأدب** عام 1974[24]، بالإضافة إلى جائزة **الثقافة العربية** التي منحتها له جامعة الدول العربية عام 1985؛ وكان هو أول من نالها على ساحة الوطن العربي، كما تحصل على **الدكتوراه بالقاهرة** من طرف الجامعة الأمريكية.

قدم زكي نجيب محمود سيرته الذاتية في ثلاثة كتب هي: قصة نفس، قصة عقل، وحصاد السنين؛ وهو آخر كتاب كان قد كتبه، ثم بعد ذلك توقف عن الكتابة حينما أحس أنه قد أدى واجبه ولم يعد لديه شيء آخر يقدمه، ثم بعد ذلك اشتد عليه المرض وضعف بصره مما جعله يمتنع عن الكتابة، وظل على هذا الحال إلى أن وافته المنية في 08 سبتمبر 1993.

[23] زكي نجيب محمود، من زاوية فلسفية، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1993، ص27.

[24] زكي نجيب محمود، عن الحرية أتحدث، دار الشروق القاهرة، ط3، 1989، ص219.

المبحث الثاني: مسيرته الفكرية.

تنقسم المسيرة الفكرية لزكي نجيب محمود إلى مرحلتين هامتين هما: مرحلة الوضعية المنطقية، ومرحلة العودة إلى الأصول.

المرحلة الأولى: مرحلة الوضعية المنطقية.

تعد هذه المرحلة بمثابة نقطة تحول في فكر زكي نجيب محمود، فهي مرحلة جد مهمة بدأت في أواسط الأربعينيات، وخاصة بعد سفره إلى لندن والدراسة هناك، حيث أن هذه المرحلة انتقالية انتقل فيها من مرحلة التدين الخالص إلى مرحلة العقل الخالص ومن خلال الأفكار التي تكونت لديه في هاته الفترة خرج بنظرتين أو هدفين يريد الوصول إليهما؛ وهما الأخذ بروح العصر وبكل ما يخص الغرب من ثقافة، والخروج من دائرة التخلف، وهذه المرحلة هي مرحلة تغيير جد حاسمة وهو نفسه يصفها بأنها:" **مرحلة استيقظ فيها عندي حادا قويا في عدة اتجاهات... وهي لم تنشأ من عدم؛ بل هي اتجاهات أحسست بها قبل ذلك بأعوام، ولكنها كانت شيء من الفتور والتردد**"[25]، وهنا يمكننا أن نقول بأن هناك شعبتين أساسيتين قد خرج بهما مفكرنا: وهما نقد التخلف الذي يعاني منه المجتمع العربي وخاصة المصري في الحياة الاجتماعية، والدعوة إلى التجريبية العلمية.

أولا: نقد الحياة الاجتماعية:

أثناء إقامته في إنجلترا لإعداد رسالة الدكتوراه وبعد اندماجه في المجتمع الغربي وتعرفه على أساليب الحياة الغربية اكتشف أن العالم الغربي يعيش المساواة والحرية، وهنا لاحظ فروقات شاسعة بين ما يعيشه العالم الغربي من تقدم، وما يعيشه العالم العربي الإسلامي وخاص مصر من تخلف، فأول ما شد انتباهه هو طريقة العيش وطريقة التعامل بين الناس التي كان يسودها الاحترام والعدل، فمن خلال اطلاعه على الفروقات الموجودة بين العالمين دعا إلى التمسك بثقافة الغرب النهوض من بوتقة التسلط والاستبداد التخلف.

[25] زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابق، ص ص46، 47.

لقد كانت الحياة الاجتماعية في مصر حياة جد مزرية يسيطر عليها الظلم والقمع والكره والاستبداد، ويسودها التخلف الفكري والقهر السياسي بسبب ما تركه الاستعمار الإنجليزي من تفاوت في الطبقات؛ ففي المجتمع الغربي كل فرد تصان كرامته، أما في المجتمع المصري والعربي عامة فالفرد يخضع للظلم والإنسان ليس له كرامة.

من خلال هذا المنطلق أصبح همه الوحيد هو إخراج المجتمع المصري من دائرة التخلف، وتغيير الأوضاع التي يعاني منها المجتمع العربي ككل، وكذلك تغيير سلم القيم التي يقوم عليها البناء الاجتماعي داعيا إلى الأخذ بثقافة الغرب وخاصة في المجال العلمي، وتغيير المنهج الذي يتبعه المجتمع المصري لأن سر التخلف الذي تعاني منه المجتمعات العربية أساسه المنهج.

لقد كانت فكرة التقدم هي الفكرة الأساسية التي مال إليها بقلبه وعقله، حيث قال في هذا الصدد:" ...**أن الحاضر قد هضم الماضي ثم أضاف جديدا تلو جديد مما أنتجته السنون ومعنى ذلك ألا يكون" العصر الذهبي" وراء ظهورنا، بل أن يكون موضعه الصحيح هوفي المستقبل الذي يعمل الناس على بلوغه..."**[26] ؛ ومعنى ذلك أن التقدم سمة أساسية لا تقتضي النظر إلى الوراء، بل تستدعي النظر إلى الأمام،" **فقد كان زكي نجيب محمود يشعر أن هناك قيما كبرى تدعو لقيام حضارة متقدمة، ولا يمكن أن تتقدم حياة الإنسان من دونها خطوة واحدة كالتجربة والمساواة والمسؤولية الخلقية للفرد..."**[27].

أخذ زكي نجيب محمود يقارن التقاليد في الحياة الاجتماعية فالمجتمع الغربي يمجد قيمة المساواة ويهتم بحرية الفرد وقدسيتها، فكل الناس هناك سواسية ولا فرق بين صاحب السمو أو السلطان والعامل وبين الغني والفقير، فلا يوجد هناك اختلاف أو تعالي، أما بالنسبة للشرق فتقسيم الناس يمشي حسب النظم من سادة وعبيد، إذن فالمجتمع المصري لا يعطي للفرد قيمة كون هذا الأخير يعيش تحت سلطة الرئيس أو الحاكم؛ بمعنى أنه لا سلطة تعلو سلطة الحاكم

[26] زكي نجيب محمود، حصاد السنين، مصدر سابق، ص8.

[27] إمام عبد الفتاح إمام، رحلة في فكر زكي نجيب محمود، مرجع سابق، ص ص41، 42.

أو المسؤول فالمجتمعات العربية خاضعة للتقسيم الطبقي من سادة وعبيد وعمال وحكام، حيث يقول في هذا الشأن:" **فلم يكن أعنف من ثورتي على القيم كما هي قائمة في حياتنا، بحيث تسمح للمستبد أن يستبد، وتجيز لذليل النفس أن يذل...**"[28].

ومعنى ذلك أن الحياة الاجتماعية المصرية لا تقدر قيم الإنسان، بحيث يكون صاحب الشأن هو المستبد المتسلط الذي يملك القيم العليا أما الذليل فتزيده ذلا على آخر وبالتالي فالحياة العربية لا تعطي قيمة للناس الضعفاء، وبما أن الغرب يعطي الأولوية لحرية الفرد فإن العالم العربي يدوس هذه الحرية ويقتلها، فالقول بأن هناك حرية لدى العرب يبقى مجرد كلام على اللسان لا يتم تطبيقه، وهذا ما جاء في قول الدكتور نجيب محمود وهو يتحدث عن المجتمع المصري:" **وأما أن ينتقل من دنيا الكلام إلى دنيا التنفيذ، فذلك من أصعب الصعاب على من يتشرب روح الحضارة التي تعلي من قيمةالإنسان**"[29]، يتضح لنا من خلال هذا القول بأنه رأى القيمة مجسدة في طبائع الناس وطريقة تعاملهم مع بعض، وأن كل ما يقال يطبق ولا يبقى مجرد كلام كما يحدث في المجتمعات العربية الإسلامية.

أثناء دراسته في إنجلترا انتبه إلى ركن ناقص في المجتمع المصري، ما دعاه إلى تغيير نمط حياته حيث اتخذ الأسلوب الأوروبي كنمط للعيش حاملا بذلك الثقافة الغربية التي تهتم بالمنهج العلمي التجريبي الذي يهدف إلى الاطلاع على الجديد باعتبار أن ثقافة الغرب هي حضارة العصر.

[28] زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابق، ص40.

[29] زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص47.

من خلال ما شاهده عن المساواة والحرية، بدأ بكتابة مقالات فيها نوع من السخرية يبعث بها لتنشر في مجلة الثقافة بمصر؛ فكانت أول مجموعة من تلك المقالات مدونة في كتاب" **جنة العبيط**" الذي صدر عام 1947؛ حيث كان يقصد بعنوان جنة العبيط: أن الحياة في مصر تعتبر جنة إلا في رأي العبيط* بالمقارنة مع حياة الناس الموجودين في الغرب أو حياة الغرب بصفة عامة، نجيب محمود هنا لا يقصد المقارنة بين درجات الفقر والغنى، بل أراد أن يبرر مسألة هامة وهي القيم الخلقية التي يتميز بها كل واحد في تعامله مع غيره باعتبارها صفة مميزة، وكذلك بين سلسلة المقالات التي كتبها ناقدا للمجتمعات العربية ومقارنا بينها وبين المجتمعات الغربية نجد مقالة" تجويع النمر"؛ والتي يقصد بها أن كل فرد يحمل داخله نمرا وما إن يصعد على قاعدة الرئاسة يظهر أنيابه ومخالبه، وأن طعامه هو السيطرة على الضعفاء وإذلالهم.

إن مفكرنا قد قام بتشريح الحياة الاجتماعية تشريحا عقليا بما تحمله من" قيم" فاسدة وأوضاع" لا معقولة"، ومن خلال ذلك توصل إلى نتائج جعلته يحاول تغيير الواقع العربي المزري نحو الأحسن والأفضل بما يتماشى مع ثقافة العصر، وذلك بالأخذ من الثقافة الغربية وأركانها، وتغيير القيم لتكوين وقيام مجتمع يعلي من شأن الفرد، وهذا ما جعله يدعو إلى ثقافة الغرب، حيث نجده يقول:" **لم تكن دعوتي إلى ثقافة الغرب صيحة مجنونة مفتونة بمظاهر كاذبة، بل هي دعوة دفعني إليها ما رأيته من مكانة رفيعة للإنسان- كل إنسان، وأي إنسان- من حيث هو إنسان وكفى.فعندئذ قارنت- رغم أنفي- بين ما رأيته هناك، وما كنت أعلمه عن قيمة الإنسان في ثقافتنا المصرية كيف تعلو وتهبط مع درجات السلطة، والنفوذ، والثراء، ونوع العمل... دون أن أبحث عن السر لأدعو إلى الأخذ بكل ما من شأنه أن يكسب الإنسان كرامته؟**"[30]

*العبيط: وهي كلمة موجودة في اللهجة المصرية العامية، ومعناها صاحب الفهم البسيط العادي أو بشكل بسيط تعني الساذج.

[30]زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابق، ص ص84، 85.

والمقصود من ذلك أن دعوة نجيب محمود للثقافة الغربية لم تكن قصد المظاهر الخادعة التي يراها وإنما كانت بسبب مكانة الإنسان العالية حيث أن الغرب يهتم بقيمة الإنسان ويضعها في المكانة الأولى سواء كان ذلك الإنسان فقير أو غني، حاكم أو محكوم، أي إنسان بحيث نجده حاول أن يقارن بين قيمة الإنسان في المجتمع المصري وحياة الإنسان في المجتمعات الغربية لأن قيمة الفرد لدى العرب ترتع وتهبط حسب درجات السلطة والثراء فإذا كان صاحب جاه وسلطة فإن له مكانة رفيعة لدي الجميع أما إذا كان شخص عادي يملك قوت يومه فإن له مكانة احتقار وذل لدى الجميع، ومفكرنا هنا راح يدعو الأمم العربية لثقافة الغرب لمعرفة السبيل الذي يضمن للناس مكانتهم وكرامتهم، خاصة بعدما أصبحت حقوق الإنسان تداس تحت أقدام الأقوياء.

وما أود أن أعقب به في هذه الفقرة، هو أن المجتمعات العربية تعاني من غياب كلي للقيم التي تبنى الحضارة، وفيه العديد من النواقص، وإذا أردنا أن يصبح لدينا مجتمع مثالي متحضر لابد لنا القضاء على الجهل الذي يسيطر على الشعب، فعلى كل إنسان أن يكون حرا في إبداء رأيه وأن تتحقق المساواة بين العامة، وهذا مايرويه لنا مفكرنا من خلال نظرته المقارنة حول ما رآه في لندن من تواضع بين وزير اعتاد الذهاب إلى إحدى المقاهي كل مساء، حيث أن ما جذب انتباه مفكرنا آنذاك أن الوزير كان يقف أمام أحد السعاة في صف الرجال ينتظر كل منهم دوره ليأخذ قدح من الشاي، فلا الوزير ضجر وتعالى ولا الساعي فزع من ذلك.

لقد لاحظ زكي نجيب محمود أن التواضع سمة يلتزم بها كل واحد في نفسه سواء كان رئيسا أو عبدا أو غيرهم، وهذه السمة إذا التزم بها كل واحد في الوطن العربي فإن الشعب يعتبرها احتقار، فقد ترسخت في عقولهم قوانين سابقة، وهذا ما أدى بفقدان الفرد لكرامته وحريته واستقلاليته.

إن زكي نجيب محمود وقف معارضا لكل ما يحدث في المجتمع العربي الإسلامي ناقدا بذلك القيم السائدة فيه من ظلم وكراهية وتسلط، محاولا التنبيه مواطن التخلف الذي يكمن في المنهج، والاقتداء بروح المجتمع الأوروبي والتمسك بالمنهج العلمي؛ فنجده قد نقد الحياة الاجتماعية في مختلف جوانبها الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية لتغيير العقلية العربية من أحوال وأوضاع وفكر، من أوضاعها المزرية نحو الأفضل والخروج من سلطة التخلف.

ثانيا: الدعوة إلى التجريبية العلمية" الوضعية المنطقية":

كانت بدايات هذه المرحلة في الأربعينيات، بعد عودة زكي نجيب محمود إلى مصر، حيث ركز خلال هذه المرحلة على جانبين: هما الدعوة للأخذ بثقافة الغرب لأنه هو صانع حضارة العصر من جهة، ومن جهة ثانية الأخذ بالمنهج العلمي التجريبي، حيث يقول عن هذه الفترة:" **لقد سرت خلالها على خطين متوازيين: أحدهما الدعوة إلى ثقافة العصر والآخر الدعوة إلى منهج التجريبية العلمية في صياغة الأفكار**..."[31]، وذلك لأن كلاهما يخضع للواقع التجريبي وكلاهما يخدم الوضعية المنطقية، ولقد كان سبب تأثر مفكرنا بهذه الأخيرة هو إيمانه بها محاولا تطبيقها على الواقع، فكان السبب الذي دعاه إلى تبنيها هي الحالة المزرية التي تعيشها الأمة العربية والمعيشة المزرية من تخلف في التفكير وخاصة المجتمع المصري وذلك بسبب العديد من الظروف منها الاستبداد والظلم والقهر، والغزو الصهيوني، والحكم العثماني الذي كان سائد، وانعدام حرية الرأي، وسلطان الماضي على الحاضر، وسيطرة التفكير الخرافي على التفكير العلمي، وتقليد التيارات الغربية...؛ إذن فما دعا زكي نجيب محمود للذهاب إلى الوضعية المنطقية أن كون المنهج الفلسفي لا ينطبق مع الواقع وأن المنهج العلمي هو الأجدر بذلك، لأنه يرى بأن المنهج الوضعي" **هو أقرب المذاهب الفكرية مسايرة للروح العلمية كما يفهمه العلماء الذين يخلقون لنا أسباب الضارة في معاملهم**"[32].

[31]زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابقن ص60.

[32]زكي نجيب محمود، مقدمة الطبعة الأولى من كتاب المنطق الوضعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1951،1.

في هذه الدعوة نادى إلى استخدام العقل في مختلف ميادين الحياة لأن المجتمعات العربية فاقدة لهذا الجانب العقلي؛ وبالتالي فهو يدعو إلى تغيير المنهج والأخذ بالمنهج التجريبي العلمي للخروج من دائرة التخلف الذي تعاني منه المجتمعات العربية والتمسك بنور العقل مستعينا في ذلك بالوضعية المنطقية باعتبارها فلسفة علمية عقلية، لأن الإيمان بالعقل هو السبيل للتقدم وهو الجانب الذي كان غائبا في ثقافتنا وهذا ما كان سببا لظهور الوضعية المنطقية.

إذن من خلال ما تطرقنا له نجد أن المفكر زكي نجيب محمود يرى بأن الدين غير قابل للتجربة، وذلك لأن التفكير العقلي يؤمن بكل ما هو واقعي ملموس عقلي وليس خيالي، ودعا إلى التفكير الوضعي الذي يدعو إلى سيادة منطق العقل رافضا بذلك التراث العربي.

"**كانت بداية اهتمام زكي نجيب محمود بالوضعية المنطقية بعدما قرأ كتاب الدكتور**"آير" **الذي كان تحت عنوان**" **اللغة والحقيقة والمنطق**" **الذي يلخص به إتجاها فلسفيا ظهر أولا في فيينا خلال العشرينات من هذا القرن، ثم أخذت دائرته تتسع وهو إتجاه أطلق عليه أصحابه إسم الوضعية المنطقية، وهذا ما كان سببا في تأثر صاحبنا بالوضعية المنطقية مما جعله يؤلف كتاب المنطق الوضعي**"[33]، ولهذا نجد المفكر نجيب محمود يقول:" **فكان أول ما قرأته من كتب الدكتور ألفرد آير هو كتابه الذي يلخص به اتجاها فلسفيا ظهر أولا في فيينا خلال العشرينات من هذا القرن**"[34]؛ وبالتالي فالبداية الأولى لاهتمام مفكرنا بالوضعية المنطقية كانت مما قرأه لآير انطلاقا من كتابه الصغير ومنذ ذلك الحين تأثر نجيب محمود بالوضعية المنطقية وأخذ في تبنيها.

لقد تجلت النظرة العلمية لدى مفكرنا انطلاقا من تأثره بالفلسفة الوضعية؛ وذلك في أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات، حيث كان الهدف التنويري هو الدافع الذي جذب زكي نجيب محمود نحو التجريبية العلمية، وفي ظل تأثره بهذه الأخيرة ألف العديد من الكتب الهامة في

[33] د سعيد مراد، زكي نجيب محمود آراء وأفكار، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997، ص104.

[34] زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابق، ص56.

تلك الفترة أهمها كتاب" **المنطق الوضعي**"، وكتاب" **خرافة الميتافيزيقا**" الذي أعاد طبعه مرة أخرى بعنوان" **موقف من الميتافيزيقا**"، وكذلك كتاب" نحو فلسفة علمية"؛ فقد كان كتاب المنطق الوضعي وخرافة الميتافيزيقا دعامته أقامها خلال فترة الخمسينيات.

وانطلاقا من كونه أحد أعضاء الوضعية المنطقية، لابد لنا أن نقدم لمحة مختصرة حول هذه الأخيرة:

الوضعية المنطقية:(LE POSITIVISME LOGIQUE):

جاءت الوضعية المنطقية كامتداد للفلسفة الوضعية،" **حيث تعود أصولها إلى المذهب الوضعي التقليدي عند مؤسسها الإنجليزي أوغست كونت وعند التجريبي جون ستيوارت مل ومن قبلهما إلى المدرسة التجريبية الإنجليزية في القرن الثامن عشر الميلادي، أما مصدرها المباشر فإنه المدرسة التجريبية النقدية الألمانية**"[35]، وهي عبارة عن اتجاه فلسفي معاصر يضم مجموعة من الفلاسفة والرياضيين والعلماء فيما يعرف باسم حلقة فيينا، والتي كانت بدورها تدعو لتبني المعرفة الحسية.

يعرفها مراد وهبه في معجمه الفلسفي بأنها:" **حركة فلسفية تعرف باسم" حلقة فيينا" أنشأها موريس شليك عام 1924، وانتهت بموته عام 1936**"[36].

ويعرفها جميل صليبا في معجمه بأنها:" **هي التي تتضمن القول أن المعرفة الصحيحة هي المعرفة المبنية على الواقع والتجربة، وأن العلوم التجريبية هي التي تحقق المثل الأعلى لليقين**"[37].

[35]إ-م. بوشنسكي،الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة: د-عزت قرني، دار عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، د ط، 1978، ص81.

[36]مراد وهبه، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط5، 2007، ص686.

[37]جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 1982، ص579.

نشأت في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن حركة فلسفية تركزت في فيينا[38]، حيثكان لهذه الحركة العديد من الممثلين والأعضاء منهم" **رودولف كارناب**" **(1891_1970)**، و" **لود فيغ فيتجنشتاين**" **(1889_1951)**، وغيرهم من الفلاسفة والمناطقة والرياضيين الذين تميزت أفكارهم بالتحليل المنطقي والنظر العقلاني، حيث ركزت هذه الحلقة على المنهج العلمي ووحدة اللغة، كما ركزت على تحليل اللغة.

إن أهم ما يميز مرحلة الوضعية المنطقية هي اعتناق مفكرنا لهذه الأخيرة والتي تأثر فيها بأبرز الفلاسفة الذين يعتمدون النزعة التحليلية والذين عرفتهم الفترة المعاصرة منهم:" برتراند راسل" (1872_1970)، و" لود فيغ فيتجنشتاين".

وقد أطلق بلومبرج وفايجل إسم" الوضعية المنطقية" LOGICAL POSITIVISMعام 1931 على الحركة الفلسفية الصادرة عن" جماعة فيينا"[39]، حيث أن هذا الاسم لم يعرف من قبل، ثم بعد ذلك" **انتشر هذا الاسم–حتى بعد انحلال جماعة فيينا وتشتت أعضائها– ليصب فيما بعد في حركة فلسفية أخرى أوسع نطاقا هي حركة" التجريبية المنطقية"LOGICAL EMPIRICISM"**[40].

لقد اهتم **زكي نجيب محمود** بالوضعية المنطقية وحاول توظيفها في الفكر النهضوي التنويري كأساس أنها منهج يعتمده" **فلم يكن توجهه للوضعية المنطقية يهدف إلى ((اعتناق)) مذهب فلسفي يعارض به المذاهب الفلسفية الأخرى بقدر ما كان عثورا على " طريقة التفكير" و" منهجا" للنظر، رأى أنه يفيد في إصلاح التسيب والاعوجاج الذيشاهده في حياتنا الثقافية**"[41]، ومعنى ذلك؛ أن نجيب محمود حاول أن يوظف الوضعية المنطقية في الفكر الذي تقوم به النهضة وأن توجهه لها كان ليس بغرض أن يعتنقها كمذهب ليعارض المذاهب الأخرى، بل كان هدفه في ذلك هو البحث عن منهج للسير وفقه، ليصلح الاعوجاج

---

[38]فاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار جيل، بيروت، ط1، 1993، ص83.

[39]زكي نجيب محمود وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، د ط، د ت، لبنان، ص537.

[40]فؤاد كامل، مرجع سابق، ص85.

[41]إمام عبد الفتاح إمام، مرجع سابق، ص52.

التي تعاني منه الأمة في الحياة الثقافية لأنها حسبه تمثل الحل للخروج من الأزمة الفكرية التي تعاني منها البلدان العربية، وبالتالي فالوضعية المنطقية حسبه ليست مذهب بل هي على اعتباره منهج يدعو له لأنها تعنى بالنظرة العلمية.

لقد اعتبر **زكي نجيب محمود** هو المدشن الأول **لتيار الوضعية المنطقية**؛ فهو أول مفكر عربي نقل الوضعية المنطقية إلى الفكر العربي الإسلامي، فقد أعتبر من رواد الوضعية المنطقية ومن أبرز مناصريها، حيث كان يدافع عنها داخل الفكر العربي المعاصر.

إن تأثر **زكي نجيب محمود** بالحضارة الغربية والنظرة التجريبية يظهر بوضوح من خلال دعوة قومه للتمسك بثقافة المجتمع الغربي والمنهج العلمي، وحسبه أن الحضارة الغربية قد حققت الرقي والتطور انطلاقا من تبنيها للمنهج العلمي الذي تبناه المذهب الوضعي المنطقي، وبالتالي فهو يعتبر العلوم الطبيعية هي أساس التقدم، وهذا ما دعا إليه رواد هذا الاتجاه من مناطقة وزعماء التحليلية والذين تأثر بهم زكي نجيب محمود خاصة راسل، حيث يقول في هذا الجانب:" **مهما يكن من أمر الاختلاف بين راسل وجماعة الوضعية المنطقية التي أنتمي إليها فلهذا الفيلسوف من الجوانب الرئيسة في عمله وفيشخصه ما يقربه من عقلي ومن قلبي معا**"[42]، وانطلاقا من كونه متأثر **براسل وهيوم** فإنه ألف كتابا عن **فلسفة برتراند راسل** في سنة 1956، وكتاب عن **ديفيد هيوم** سنة 1958.

لقد رفض **زكي نجيب محمود** الميتافيزيقا ودعا إلى استخدام العقل، وفي هذا الصدد يقول:" **جعلت الميتافيزيقا أول صيدي-جعلتها أول ما أنظر إليه بمنظار الوضعية المنطقية لأجدها كلاما فارغا لا يرتفع إلى أن يكون كذبا، لأن ما يوصف بالكذب كلام لا يتصوره العقل ولكن تدحضه التجربة**"[43].

من خلال هذا الكلام يتبين لنا أن زكي نجيب محمود يرفض الميتافيزيقا بعدما اعتبرها هي الأساس الذي ينظر إليه عن طريق الوضعية المنطقية، لكنه في الأخير رفضها لأنه

---

[42] زكي نجيب محمود، برتراند راسل، دار المعارف، مصر، ط2،ص08.

[43] زكي نجيب محمود، المنطق الوضعي، مصدر سابق، ص08.

وجدها مجرد كلام فارغ لا أكثر ولا يتجسد في الحقيقة والواقع الذي تنادي به التجربة، فالوضعيون المناطقة دعوا إلى التحرر من الميتافيزيقا لأن قضاياها ليست قابلة للتحقق التجريبي؛ وبالتالي فالميتافيزيقا مرفوضة في نظر المفكر نجيب محمود لأن مجال بحثها في الماورائيات الذي لا وجود له على أرض الواقع المحسوس، يقول زكي نجيب محمود:" **وما دامت الميتافيزيقا كلها كلاما فارغا على الكلام الذي بينا فماذا نحن صانعون بهذه الأسفار الضخمة التي تراكمت لدينا على مر القرون مما كتبه الميتافيزيقيون؟ إنه لعزيز علي وعليك أن تلقي بهذه الأسفار-كما كان ينبغي لها-طعاما لألسنة النار. أو أثقالا في قاع المحيط؛ وإذن فلنبق عليها، ليقرأها القارئ-إذا أخذه الحنين إلى الماضي- كما يقرأ أساطير الأولين**"[44].

ويفهم من كلامه؛ أنه قد رفض الميتافيزيقا لأنها تتحدث عن أشياء غير موجودة في الواقع وبالتالي فلابد من رمي أي شيء غير مرتبط بالعلم في النار، مادامت الميتافيزيقا هي مجرد كلام غير موجود في الواقع لا يحمل أي معنى، وهنا نجده يصرح فيقول:" **يجب علينا حذف الميتافيزيقا من مجال الكلام المشروع، لأن التحليل-تحليل عباراتها الرئيسية تحليلا منطقيا-قد بين أنها عبارات خالية من المعنى، أي أنها ليست بذات مدلول حتى يصح وصفها بالصواب أو بالخطأ**"[45].

إن الفلسفة الوضعية المنطقية تتلخص في أنها تقوم أساسا على اعتبار الخبرة المحسوسة مصدرا وحيدا للحقيقة، أما القضايا الأخرى كالأخلاق، والدين، والفن، ما هي إلا مفاهيم لا تعبر عن الواقع المحسوس، وبالتالي فنجيب محمود ألغى الدين على أساس أنه غير قابل لتجربة على أرض الواقع.

شكلت الوضعية المنطقية مرحلة جد هامة في فكر **الدكتور زكي نجيب محمود**، وكانت من أبرز المراحل التي شهدها مفكرنا في مشواره الفكري، فقد كان يدعو طيلة حياته للأخذ بها

---

[44] زكي نجيب محمود، قشور ولباب، دار الشروق، القاهرة، د ط، 1988، ص ص169-170.

[45] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1982، ص238.

وذلك من خلال دعوته الصارمة للأخذ بالمنهج التجريبي العلمي والتي بدت في نظره هي أساس التطور والتحضر لدى الأمة العربية، فالوضعية المنطقية حسبه هي الحل الأنسب لمعالجة أزمة تخلف العالم العربي بما في ذلك الواقع المصري وتغيير الحياة الفكرية.

إذن يبدو في رأي المفكر الأعظم نجيب محمود أنه لابد من التمسك بالغرب، لأن الحضارة الغربية هي المعيار والنموذج الذي تحتذيه كل الحضارات، فهي حضارة العلم والحرية والديمقراطية والإنسان والطبيعة...

المرحلة الثانية: مرحلة العودة إلى التراث والأصول.

بعدما لعبت الثقافة الغربية دورا في فكر **زكي نجيب محمود** والتي كانت محل إعجاب جعلته يدعو إلى تطبيق الوضعية المنطقية في الأمة العربية، والتي سعى من خلالها إلى تأليف عددا زاخرا من المؤلفات التي تعبر عن انشغاله في تلك الفترة، إلا أنه وجد نفسه قد أهمل تراثه مدعيا أنه في تخلف تام.

بعد تشبعه بالفكر الغربي والفكر العلمي، شعر وكأنه معزول عن ثقافته العربية الإسلامية وتراثه الوطني ككل، وهنا خرج بفكرة أن المنطق والفكر لتجديد الواقع العربي لا يمكن أن تحتويها الفلسفة الوضعية فقط، بل لابد أن يكون هنالك جانب آخر نابع من الفكر العربي نفسه، وذلك لا نجده إلا في التراث العربي الإسلامي الذي يمثل أساس ذلك الفكر، كما نجده حاول أن يقيم ثقافة عربية تحافظ على الأصالة وتساير عصر التكنولوجيا من جهة أخرى، السبب الرئيسي الذي جعله يعود إلى الدين والتراث هو أن الفكر العربي لا يسلم بالفلسفة الوضعية المنطقية وبالمنهج العلمي؛ لأنها- الفلسفة الوضعية المنطقية- لا تفسر جدلية الصراع الذي تخوضه الأمة العربية، وفق مفهوم **القومية العربي** *

إذن فقد نادى بضرورة التمسك بالفكر العربي الإسلامي محاولا بذلك المزج بين الثقافة والمعاصرة، وذلك انطلاقا من اطلاعه على التراث العربي والذي وجد نفسه مترددا من خلاله

*القومية العربية: حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا، حيث ظهرت بدايات الفكر القومي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

بين القديم والمعاصر، ومن أجل إقامة فلسفة متميزة قائمة على الطابع العربي الأصيل، حاول بناء أمة عربية قائمة على أساس ثقافة أصيلة تمتلك جانب من العصر المتطور، وهذا ما جعله يؤلف عددا هائلا من الكتب تحمل ثقافة العصر، من أهمها: كتاب" **تجديد الفكر العربي**"، والذي يعد من أشهر الكتب التي وضعها في ذلك العصر، وكذلك كتابه الذي يحمل عنوان" ثقافتنا في مواجهة العصر"، وكتاب" **المعقولواللامعقول في تراثنا الفكري**"[46]، ونظرا لظهور الوعي القومي فإنه انحاز للبحث عن حلول لازمة لمشاكل الواقع العربي.

أولا: بداية الإطلاع على التراث.

بدأ **زكي نجيب محمود** يطلع على التراث ويبحث في سمات الهوية العربية بعد ما انتقل من جامعة القاهرة إلى جامعة الكويت في سبتمبر1968، من خلال مكتبتها التي تمثل حقلا هاما يزخر بالكتب الخاصة بالتراث، فانطلاقا من قراءاته المتكررة للكتب الموجودة هناك تولد لديه شيء من الفضول لمعرفة أصول عصره، مما جعله يهتم بالتراث العربي الإسلامي؛ ففي أواخر الستينيات اشتدت به الرغبة في أن يطلع على الثقافة العربية، وكان أول ما لفت انتباهه كبداية، جملة الكتب الخاصة بالتراث، وجاء يصف مكتبة جامعة الكويت في قوله كالتالي:" **لكنني ما إن هممت بالتنفيذ، وحولي مكتبة جامعية على درجة كبيرة من الغنى بما احتوت عليه من أصول ومراجع، حتى رأيتني كمن وقف على شاطئ محيط متسع لأفاق عميق الأغوار، قائلا لنفسي: دونك المحيط فاسبح إليه حيث شئت من شطآنه النائية**"[47].

يبدو لنا من خلال ما تحدث عنه أنه منبهر من الكم الهائل الذي تحمله المكتبة من كتب ومؤلفات حول التراث العربي الإسلامي، وكأنها بحر واسع يحتوي عل كنوز بحثية وفيرة، وقف أمام شاطئ من شطآنه محاولا السباحة حيث شاء، مدركا أنه كان جاهلا له خصوصا بعد ما اعترف بجهله للتراث العربي في كتابه" تجديد الفكر العربي".

---

[46]إمام عبد الفتاح إمام، مرجع سابق، ص61.

[47]زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابق، ص200.

بعد اطلاعه على أهم الأفكار الإسلامية والعربية الخاصة بالفلاسفة والمفكرين، واطلاعه على كل ما يخص تراثنا، أصبح لديه تحول تام من الوضعية المنطقية التي كان مصرا عليها منتقلا إلى وجهة ثانية؛ وهي قراءته للتراث، حيث دعا في هذه المرحلة إلى فلسفة جديدة ونادى بتجديد الفكر العربي، حيث ألقى عدة محاضرات في المواسم الثقافية لجامعة الكويت في هذا الصدد من بينها: محاضرة بعنوان" **طريقنا إلى فلسفة عربية**" ألقاها في الموسم الثقافي بجامعة الكويت في العام الجامعي 1968_1969، محاضرة بعنوان" **التحول العلمي وأثره في حركات الشباب وحياة القلق**" ألقاها في رابطة الاجتماعيين عام 1969، وغيرها من المحاضرات...

إذن بعدما راجع **زكي نجيب محمود** القرار أو الموقف الذي اتخذه من التراث العربي منذ مطلع شبابه، وجد أن هناك قصورا في التراث وذلك بعد ما كان يجهله، قصورا كان له أثرا كبيرا، وهذا ما نجده في قوله:" **ربما كان دافعي إلى ذلك- يقصد موقفه من التراث العربي- هو إلمامي بشيء من ثقافة أوروبا وأمريكا وجهلي بالتراث العربي جهلا يكاديكون تاما، والناس كما قيل بحق- أعداء ما جهلوا**"[48].

والمقصود من ذلك؛ أن الدافع الذي جعله يتجاهل التراث العربي الأصيل هو اطلاعه على شيء من ثقافة الغرب-ثقافة أوروبا وأمريكا-حيث أنه قد تجاهل التراث كاد يكون تجاهلا كليا ثم بعدما اطلع على التراث وجد أنه في قصور حيث كان الموقف الذي رآه في نفسه من قصور واستيعاب للتراث العربي وأصوله دافعا للبحث عن سبل التقدم والبحث في سبل التقدم، ومن خلال هذا الطرح أراد **نجيب محمود** أن يقيم مشروع جديد.

[48]زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، ط9، 1993، ص13.

ثانيا: البحث عن صيغة جديدة وبناء مشروع جديد.

بعدما قرأ **زكي نجيب محمود** التراث واطلع على أهم مكوناته، دفعته الثقافة العربية الإسلامية إلى التراجع عن رأيه والالتفات إلى التراث العربي الإسلامي بعدما اتخذ موقفا سلبيا تجاهه، وهنالك غير رأيه وأراد أن يبني ثقافة موحدة قائمة على الطابع الغربي وعلى ما هو عربي قديم، فراح يبحث عن صيغة تجمع التدين الخالص مع العقل الخالص، حيث قال عبارته المشهورة:" **كيف السبيل إلى ثقافة موحدة منسقة يعيشها مثقف حي في عصرنا هذا، بحيث يندمج فيها المنقول والأصيل في نظرة واحدة**"[49]، ومعنى ذلك؛ كيف يمكننا أن نقيم ثقافة تجمع بين الدين والأصالة والمعاصرة في عصرنا هذا بحيث تكون هذه الثقافة حاملة في طياتها شيء من التراث الأصيل وشيء من المنقول المعاصر في نظرة واحدة.

لجأ مفكرنا الدكتور المصري إلى التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، وبين الثقافة الغربية والتراث العربي فقال:" **لابد من تركيبة عضوية، يمتزج فيها تراثنا مع عناصر العصر الراهن الذي نعيش فيه، لنكون بهذه التركيبة العضوية عربا ومعاصرين في آن واحد**"[50]؛ من كلامه نلاحظ أنه يحاول أن يقيم حضارة عربية متكونة من جزء من تراثنا الأصيل من جهة، ومن تكنولوجيا العصر الحالي الذي نعيشه الآن، وذلك لكي نكون عربا بثقافة معاصرة في نفس الوقت.

إن هذه المرحلة ما هي إلا مرحلة توفيقية حسب **الدكتور إمام عبد الفتاح إمام**، حاول فيها زكي نجيب محمود أن يجمع بين المرحلتين الأولى والثانية حاول أن يوفق بين العقل والدين، وهنا قام بالتركيب بين التراث القديم الأصيل وثقافة الحضارة الغربية" **والتي يتم فيها الجمع بين العلم والدين والحرية والتصوف**"[51]؛ ويفهم من هذا أن مفكرنا يحاول أن يقيم ثقافة عربية

---

[49] زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، المصدر السابق، ص06.

[50] زكي نجيب محمود، المصدر نفسه، ص14.

[51] إمام عبد الفتاح إمام، مرجع سابق، ص47.

أصيلة تتميز بطابع العصر، كما أنه يحاول أن يقيم تركيبة ثنائية تجمع بين التراث والمعاصرة وهذا" **ما انتهى به إلى رؤية عرف بها كيف نجري ماضينا بحاضرنا، وبأي نسبة نجريه**"[52].

إن ما حاول مفكرنا تجسيده هو أن يكون كل فرد يحمل في طياته نظرتين" **وهما النظرة العلمية والنظرة الصوفية العلمية لمواجهة مشاكل العصر ومقتضياته، والصوفية للتأمل الداخلي وتهذيب النفس**"[53].

[52]زكي نجيب محمود، حصاد السنين، مصدر سابق، ص391.

[53]زكراوي بشير، إشكالية قراءة التراث عند زكي نجيب محمود، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة)، جامعة محمد بوضياف–المسيلة–، 2016–2017، ص6.

إن ما قمنا به خلال هذا الفصل؛ ما هو إلا توضيح لمسيرة **زكي نجيب محمود** الفكرية الحافلة بالأحداث، وما مرت به حياته وفكره من مراحل هامة والتي كانت تبدو لنا أول وهلة أنها متناقضة، ولكنها في الأخير كانت هي الأساس الذي أقام من خلاله فلسفة خاصة قائمة على بناء متين لحضارة عربية مبنية على الثقافة والمعاصرة، وتجمع شيء من التراث الأصيل مع التكنولوجيا المعاصرة؛ والتي تعتبر ثالث مرحلة أقام فيها بناء لحضارة متطورة متقدمة أصيلة متحضرة.

الفصل الثاني: الأسس والدوافع التي بنى عليها زكي نجيب محمود فكرة الحرية

المبحث الأول: الأسس التي بنى عليها زكي نجيب محمود مفهومالحرية

المبحث الثاني: الدوافع والمؤثرات التي أدت بزكي نجيب محمود لكتابة فكرة الحرية

تمهيد

في ظل الصحوة الفكرية في بدايات القرن العشرين وما شهدته مصر من حركة فكرية غنية بالوقفات الفعالة وبالمفكرين الذين تركوا تأثيرا كبيرا في تلك الحركة، كانت بدايات قيام حضارة عصر جديدة تزخر بالعديد من عمالقة الفلسفة العرب المعاصرين؛ من بينهم المفكر المصري زكي نجيب محمود الذي كانت تجربته تبدأ من قلب تلك الصحوة، والتي كرس جهوده خلالها لخدمة تقدم الوطن ودفع حضارته إلى الأمام، فهو يمثل حلقة رئيسية كانت قائمة على مدى ثلاثة قرون من الزمن تتوهج ثم تخبو، ورغم أنها كانت فترة متعددة المناهج إلا أن الهدف واحد وهو التقدم، وهو الهاجس الذي يسعى نجيب محمود إلى بلوغه وتحقيقه طوال حياته.

حيث نجده قد عمد إلى تطهير الأرض وقدم عدة إسهامات في سبيل النهضة لأنه يستحيل قيام حضارة ما دون التخلص من القيود والتحرر من الأغلال التي تعيق الأمة العربية وتمنعها من التقدم جاعلة العقل في ركود وجمود تام، ورغم هاته الظروف إلا أنه" كان عقلا يبحث لنفسه عن طريق، وظل يبحث خلال أعوام الثلاثينيات، انه لم يكف يوما عن القراءة، ولم يكف يوما عن الكتابة، لكنه كان حائرا لا يجد ما يستريح إليه، أو قل انه كان يستريح للفكرة المعينة مرة، ولنقيضها مرة أخرى... ويجمع عقلا إلى غريزة !!"[54].

وطوال مسيرة حياته عاش المفكر العظيم باحثا عن ذلك الهدف الذي بدأه أثناء دراسته في الفترة أو المرحلة التي يصفها بأنها:" غنية غاية الغنى، ثائرة أعنف الثورة، لما فيها من أعلام ما انفكوا يوما بعد يوم يهزون العقول هزا بما يعرضونه من أفكار..."[55].

[54]زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابق، ص29.

[55]زكي نجيب محمود، المصدر نفسه، ص13.

ورغم مشاركاته المختلفة في العديد من الاتجاهات إلا أنه لم يتمكن من إيجاد سبيل للتقدم الذي يحاول الوصول إليه، ومع ذلك لم يتوقف بل استمر في البحث عن طريق لبلوغ النهضة، وأثناء سفره إلى لندن لنيل درجة الدكتوراه ناقش مسألة الحرية في رسالته التي كانت تحت عنوان" الجبر الذاتي"، واستمر نجيب محمود في السير سبلا باحثا عن طريق للتقدم حاملا بذلك هموم المجتمع العربي مشرحا أسباب مشاكله من الحرية بشتى أنواعها، فقد كانت مشكلة الحرية شاغلة اهتمام الدكتور منذ مطلع شبابه حيث نجده قد تحدث عنها في أغلب كتبه سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، إذن ما دام نجيب محمود قد أكمل ما بدأه المفكرينالتنويريين منذ عصر رفاه الطهطاوي معتمدا على فكرة الحرية كأساس أو كهدف لتحقيق التطور والتقدم، ما هي أهم الأسس التي بنى عليها مفهوم الحرية؟ وما هي الدوافع التي جعلته يهتم بهاته الفكرة ويتبناها؟

المبحث الأول: الأسس التي بنى عليها زكي نجيب محمود مفهوم الحرية.

لقد ذهب زكي نجيب محمود إلى دراسة فكرة الحرية كأساس لتحيق التقدم، معتمدا في ذلك العديد من العوامل المساعدة لبناء مفهوم الحرية وطريقة الوصول إليها وتحقيقها.

أولا: الدعوة إلى المنهج العلمي.

إن أول ما لجأ إليه زكي نجيب محمود كأساس لتحقيق الحرية وتحديد مفهومها هو دعوته إلى المنهج العلمي والأخذ بالعلم ولواحقه لضمان الهوية الوطنية والقومية والحفاظ عليها، حيث يرى أن البلاد العربية تسودها نظرة لا علمية، ومن هذا المنطلق وأثر احتكاكه بالمجتمع الغربي لاحظ بأن هذا الأخير يزداد حرية بفضل العلوم الطبيعية والتي استطاع من خلالها أن يكشف عن أسرار الكون، وفي هذا المجال نجد مفكرنا يتساءل:" **هل في تراثنا الفكري ما يمنع العربي عن المشاركة في جهود العلم الجديد؟**"[56].

[56]زكي نجيب محمود، عربي بين ثقافتين، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1993، ص8.

إن ما لاحظه نجيب محمود في الواقع الأوروبي من إعلاء للقيم وتقديس للحرية وتقدم في العلم جعله يدعو إلى التمسك بالعقيدة الدينية لما فيها من أسرار تكشف عن ظواهر الكون المحيطة بالإنسان، فالعرب المعاصرين لم يقتحموا ميادين العلم الطبيعي بشكل ايجابي يدفعهم لولوج الحضارة؛ بل اكتفوا بالأخذ عن الغرب كل ما يلزمهم بعدما يتحقق لهم طلب في مجال العلوم، فالعربي حسبه لم يقتحم ميدان العلوم بل ترك كل ذلك للغرب وهذا ما جعل المجتمع الغربي يصبح هو صاحب الريادة والعصر، فما تحققه الدول الأوروبية في مجال الصناعة أو الزراعة وغيرها تقوم الأمة العربية بشراء كل ما تحتاجه من آلات وأجهزة، يقول زكي نجيب محمود:" **ألم يكن الإنسان إلى عهد قريب يحمل الأثقال على ظهره وكتفيه كأنه دابة من دواب الحيوان؟ بل إنه لا يزال كذلك في كثير من بلدان العالم المتخلف؟ فجاءت الآلة لتحمل عنه هذه الأثقال**"[57]؛ ومعنى ذلك أن الأمم التي تعرف بأنها متقدمة اليوم كانت في إحدى الأيام من الدول المتخلفة والإنسان في ذلك الوقت كان مثل الحيوان يحمل الأثقال، ولكن مع تطور العلوم عندهم تطورت الآلات وأصبحت هي من تحمل الأثقال وبالتالي فتلك الدول المتخلفة أصبحت متقدمة وفي طور الحضارة.

من خلال ما تطرقنا له نجد نجيب محمود يدعو العلماء العرب إلى مواجهة الظواهر الكونية واستخراج قوانينها، وبالتالي يشاركون في الإبداع العلمي وأول خطوة يركز عليها هي دعوة شباب الجامعات والمعاهد لروح المنهج العلمي ويؤكد أن ما ينقص المجتمع العربي في المقام الأول هو اكتساب المنهج العلمي، إذن لتحقيق الحرية حسب مفكرنا فانه دعا إلى جعل الإسلام على النحو الذي كان عليه إسلام الأسبقين فيما يختص بالحياة العلمية؛ حيث كان عالم الرياضيات أو الكيمياء أو الطب مسلما وعالما في نفس الوقت؛ بمعنى الفرع الذي كان يهتم به من رياضيات وعلوم طبيعية كان جزء من الإسلام، وبمعنى أوضح كان يعبد

[57] زكي نجيب محمود، عربي بين ثقافتين،مصدر سابق، ص93.

الله من جهة ويبحث في خلق السماوات والأرض من جهة ثانية كما أمر به القرآن، وهذا هو الحل للخروج من الأزمة حسب مفكرنا.

إن الأخذ بالمنهج العلمي وإتباع" **العلوم المختلفة هي التي تكفل التحرر**"[58]، والخرج من الأزمة التي تقيد العالم العربي.

" **لقد كانت دعوة نجيب محمود إلى التقدم دعوة واضحة، خروجا من التخلف الذي يرن على الفكر والحياة والمجتمع، وهي دعوة مسلحة منذ البداية بإيمان عميق بالتطور من ناحية وبالعلم من ناحية ثانية، وبالحرية من ناحية ثالثة. ولم تكن دعوته الملحة إلى الوضوح الفكري إلا بهدف امتلاك أسباب التقدم، ولم تكن دعوته الملحة إلى المنهج العلمي إلا بهدف تحقيق الحرية وامتلاك أسبابها فالعلم حسبه هو السبيل إلى الحرية**"[59].

إن السر وراء تخلف العالم العربي الإسلامي هو أنهم يكتفون بحفظ القرآن دون البحث فيما يشير إليه من دلائل متعلقة بالبحث العلمي وبالكون وظواهره؛ فمثلا ظاهرة الضوء والصوت الكهرباء والمغناطيس والذرة كلها يشجع عليها الدين، فالإسلام ليس هو السبب في التخلف العلمي للأمة الإسلامية حاليا، بل الخطأ يكمن في عدم الفهم الصحيح والكشف عن أهمية وقيمة العلم بأسرار الكون والانتفاع بذلك العلم في الحياة العملية، كما أن ذلك الخطأ بدأ من عدم القراءة الدقيق للمفاهيم العلمية التي اختزلها الوحي للبشر في كلمة"إقرأ"، وهنا لو أيقن الإنسان العربي المسلم بأن الدين يحث على البحث العلمي لكان هو صاحب العلم وصاحب الإبداع والريادة.

[58]إمام عبد الفتاح إمام، مرجع سابق، ص142.

[59]محمود أمين العالم، مواقف نقدية من التراث، دار قضايا فكرية، القاهرة، د ط، ص ص169-170.

إن ما وقع فيه العالم العربي بسبب عدم فهمه لمل توحي إليه المفاهيم الدينية من أسرار، جعله يقف محتوم وراء علماء الغرب الكاشفين منتظرا بذلك ما يتم الوصول إليه من درجات في التطور وأخذه بعد ذلك.

حاول زكي نجيب محمود أن يحرر الأمة العربية، خاصة في المجال العلمي دافعا المجتمع العربي نحو الركب الحضاري مما جعله يتساءل حول السبب الذي يمنع العربي في أن يدخل عصره مقتحما بذلك الميادين العلمية وغير العلمية، وأن ما وصل إليه الغرب تستطيع الأمة العربية الوصول غليه وبلوغه، وفي هذا الصدد نجده يقول:" **فنحن قادرون على إصطناع المنهج العلمي الدقيق عندما نكون في غرفة البحث العلمي، ولكننا كذلك قادرون على خلع الرؤية العلمية منذ اللحظة التي نترك فيها غرفة البحث العلمي تماما كما نخلع ثياب العمل بعد عودتنا إلى منازلنا...**"[60].

ويقصد بذلك أن الأمة العربية بإمكانها أن تصطنع المنهج العلمي الصحيح عندما تكون بصدد دراستها لهذا المنهج، كما يمكنها أن تتخلى عنه بمجرد أن تنتهي من دراسته تماما مثلما يمكن خلع ملابس العمل عند العودة إلى المنزل.

إن دعوة نجيب محمود الملحة نحو العلم هو نظرته إلى المجتمع العربي الذي لم يتشرب من المنهج العلمي الجديد شيئا؛ لأن منهج العلوم الطبيعية كان بمثابة نقطة انطلاق بالنسبة للحضارة الغربية، وبالتالي فالعلم حسبه هو السبيل إلى الحرية، وإذا كانت دعوته للتقدم مرتبطة بالعلم والحرية فإننا نجده يقول:" **أنا أدعو بكل قوتي إلى أن نزيد من اهتمامنا بالعلم حتى لو جاء ذلك على حساب الجانب الوجداني، وأدعو إلى البحث عن صيغة تصون لنا**

[60] زكي نجيب محمود، حصاد السنين، مصدر سابق، ص29.

هويتنا دون أن يضيع منا العيش في عصرنا... تلك خطوط واضحة أدرت عليها كل ما بذلته من جهود..."[61].

من هنا يتضح لنا أنه يدعو إلى الإهتمام بالعلم حتى ولو كان مرتبط بالجانب الوجداني، كما أنه يدعو للأخذ بمقومات حضارة العصر وكل ما يتبعها من ثقافة، إضافة إلى ذلك يحاول البحث عن صيغة تستطيع من خلالها الأمة العربية مواكبة العصر مع الحفاظ على الهوية الوطنية دون المساس بها.

من كل ما سبق يبدو أن العالم الإسلامي وخاصة مصر لا يمكنها القيام ما لم تسهم في الكشف العلمي عن أسرار الكون، وبالتالي " **فهو يردد في كثير من كتبه بصورة قاطعة وحاسمة أن العالم الإسلامي، لن تقوم له قائمة ما لم يسهم في الكشف العلمي**"[62]، كما لا يمكن أن تتم دراسة العلم بصفة ذاتية بل يجب أن يتجاوز ذلك إلى تحويل العلم إلى عمل في مجالات يمكن تطبيقها، وبالتالي فنجيب محمود يرى بأنه علينا أن ننتقل من حضارة اللفظ إلى حضارة الأجهزة فالعلم أصبحت لغته العصرية هي الأجهزة لا الكلمات والألفاظ فمهما وضعنا في منازلنا أو معاملنا من أجهزة فهذا لا يعني أننا دخلنا العصر لأنها ليست أجهزتنا، وهو يرى أنه لكي نعيش الحياة العصرية يجب أن نتشارك العلم ونتشارك في صنع الأجهزة التي تعمل على تقدم العلم" **وإلا فماذا تكون الدلالة الحقيقية لكون الأمر بكلمة إقرأ أول ما نزل بها الوحي من القرآن الكريم؟**"[63]، وهنا لا ينبغي أن تظن الأمة العربية والوطن المصري بأنه دخل في ركب العصر ما دام يقوم بشراء أجهزة منزلية من الغرب ودفع فواتير الحساب، وأنه لبلوغ العصر يجب أن تسير الأمور على التخطيط المبني عل العلم، وبالتالي فإن نجيب محمود يحذر بلاد الشرق من أن تنخدع ببريق المجتمعات الأوروبية.

---

[61] إمام عبد الفتاح إمام، مرجع سابق، ص124.

[62] إمام عبد الفتاح إمام، المرجع نفسه، ص77.

[63] زكي نجيب محمود، رؤية إسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1993، ص6.

من خلال كل ما سبق نرى أن زكي نجيب محمود لم يغادر الوضعية المنطقية، بل اتجه إلى ما هو أعمق في المنهج العلمي؛ حيث كان يسعى من خلاله إلى الكشف عن أسرار الكون التي يحث عليها الدين الإسلامي، وبالتالي نجده هنا قد اعتمد على ثنائية كل من الدين والعلم كأساس لتحقيق الحرية والوصول إلى النهضة، وانطلاقا مما طرحه نجيب محمود نجد أن فلسفته تتلخص في كون مشكلة التخلف التي يعاني منها المجتمع العربي سببها الرئيسي هو إهمال العلم.

ثانيا: الدعوة إلى حرية الفكر

أما الأساس الثاني الذي يدعو إليه زكي نجيب محمود للسير نحو الحرية وتحقيق التقدم، فهو تحرير الفكر بمنطق من العقل؛ فالحياة الفكرية في الوطن العربي منهارة وهذا الشيء لا يمكن إنكاره، وسبب ذلك أن العملية الفكرية غير موجودة بسبب المنهج الذي يكفل التقدم يقول:" **على أننا إذ نقول عن الأمة العربية إنها لم تشارك في علم هذا العصر مشاركة إيجابية منتجة وكاشفة، وأنها بهذا المعنى تخلفت بالقياس إلى حركة التقدم التي نراها في بلاد الغرب التي هي صانعة هذه الحضارة القائمة كما كنا نحن صانعيها في مراحل سابقة من التاريخ**"[64]، حيث يرى أنه لكي تتحقق الحرية الفكرية لابد أن يكون المفكر حرا من الضغط الخارجي المادي ومن الضغط الداخلي المعنوي، وبذلك فهو يسعى إلى تغيير الفكر العربي الإسلامي وتجديد حياته بما يتناسب مع العصر" **فقد كان صاحبنا على يقين بينه وبين نفسه بأن الحرية الفكرية في وطنه بحاجة إلى مراجعة تتناولها من الأساس. فأقل ما يقال فيها يومئذ هو أنها على فقر شديد في الإبداع الفكري**"[65].

إن زكي نجيب محمود قد أرجع سبب التخلف الفكري في المجتمعات العربية إلى التراث، حيث نجده يقول:" **وأني لأزعم أن إحدى العلل الكبرى التي قيدت انطلاقتنا الفكرية نحو أن**

[64]زكي نجيب محمود، حصاد السنين، مصدر سابق، ص129.

[65]زكي نجيب محمود، المصدر نفسه، ص117.

نبدع فكرا جديدا مع المبدعين، هي أننا إذا اكتفينا في معظم الحالات، بحفظ ما كتبه الآخرون من الماضي، فدارت بنا الحياة فأفلتت منا حقائق الأشياء، وأصبحنا كمن يعيش في ضلالها"66؛ ومعنى ذلك أن رفض التراث في نظر نجيب محمود أن المشاكل التي يواجهها العرب في هذا العصر ليست نفس المشاكل التي كانت تواجه الأسلاف في القديم، وبالتالي فالحياة اليومية ومشاكلها تختلف حسب العصور.

يرى زكي نجيب محمود أن المجتمع المصري متمسك بالعقل الجمعي، ومادام هذا الأخير متمسك بالنمط الفكري القديم سيظل فيه نقص، وبالتالي الثورة الفكرية ستظل ناقصة مادامت أسس ومقومات الفكر السائد المتوارثة من القديم ثابتة لا تتغير، وهنا نجده يسعى إلى تحليل تلك الأفكار القديمة قائلا بذلك:" **لمن العبث أن يرجوا العرب المعاصرين لأنفسهم نهوضا أو ما يشبه النهوض قبل أن يفكوا عن عقولهم تلك القيود، لتنطلق نشيطة حرة نحو ما هي ساعية إلى بلوغه، أنه لا بناء إلا بعد أن نزيل الإنقاص ونمهد الأرض ونحفر للأساس القوي المكين..."**[67] .

ويقصد بذلك أن العرب المعاصرون إذا أرادوا أن ينهضوا بفكرهم وعقولهم للوصول إلى التقدم وتحقيق الحرية، لابد لهم من فك القيود التي تكبل فكرهم، وبعد التخلص من تلك القيود تنطلق عقولهم بطريقة نشطة ساعية إلى الهدف المراد بلوغه، وأنه لا يمكن لأي أمة أن تقوم مادامت لم تزيل ولم تقضي على الأغلال وأنه لابد من وضع أساس متين صحيح وذلك بعد التهيئة والتخطيط، وهنا راح مفكرنا يحاول تطهير الأرض من الألغام التي قد تنسف البناء من أساسه لو قام عليها محاولا القضاء على العوامل التي تعيق الفكر العربي وتشده إلى الوراء وتمنعه من الانطلاق والسير" **بل وتعمل فينا كأبشع مايستطيع فعله كل ما في الدنيا**

---

[66] زكي نجيب محمود، بذور وجذور، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1990، ص116.

[67] زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مصدر سابق، ص ص26-27.

من أغلال وأصفاد"[68]، وهنا يبدو لنا أنه يستحيل النهوض دون التحرر من الأغلال، وذلك وفق التحليل الدقيق لمبدأ أو أصل كل أمة، بحيث أن كل شعب له مصدر ومبدأ خاص به قد انطلق منه، وأنه لابد من الكشف على ذلك المبدأ الذي يعوق الحركة دون الوصول إلى الهدف المنشود.

إذن من خلال ما تطرقنا له نجد أن مفكرنا دعا إلى إعادة مراجعة الحرية الفكرية من الأساس وخاصة في وطنه، حيث نجده يتساءل في هذا الصدد قائلا:" **ما الذي أحدث فينا عندئذ عقم التفكير فامتنع الإبداع ولجأنا إلى الأخذ، عن أسلافنا مرة وعن الغرب الحديث مرة؟"[69]**.

لقد كانت قضية حرية الفكر تشغل بال مفكرنا منذ مطلع شبابه، حيث كان يحاول بكل عزم وإصرار أن يجعل الدعوة إلى وضوح الفكر غاية غاياته، واستمر الدكتور نجيب محمود في البحث عن السبب الذي أحدث العقم الفكري فكان سبب ذلك حسبه هو اللغة والطريقة الغامضة التي يتم استخدامها بها، وهو ما جعل المجتمع العربي يعاني فقر شديد من حيث الإبداع الفكري، حيث يرى بأن الأمة العربية الإسلامية لن تقوم لها قائمة إلا إذا أعادت مراجعة اللغة؛ لأنها هي التي الأداة التي تعبر عن أفكارنا، وبالتالي فقيام الأمة ونهوضها مرهون باللغة لأنها هي التي تساعد الأمم على التقدم، وهذا ما نجده في قول نجيب محمود:" **لست أتصور لأمة من الأمم ثورة فكرية كاسحة الرواسب إلا أن تكون بدايتها نظرة عميقة عريضة، تراجع بها اللغة، وطرائق استخدامها لأن اللغة هي الفكر، ومحال أن يتغير هذا بغير تلك"[70]**.

---

[68] زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مصدر سابق، ص26.

[69] زكي نجيب محمود، حصاد السنين، مصدر سابق، ص118.

[70] زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مصدر سابق، ص205.

والمقصود من ذلك حسب المفكر نجيب محمود، بأن الأمة العربية الإسلامية تعاني من فقر شديد في الحياة الثقافية والذي كان سببه عدم الإستخدام الجيد للغة أو الطريقة الغامضة التي يتم استخدامها بها من طرف رجال الفكر ورجال العلم، وبالتالي فهو يرى بأن معظم الأفكار الأساسية لم تكن من الإبداع العقلي العربي، بل كانت منقولة من الغرب؛ ويضرب مثالا حول ذلك كفكرة الحرية والعدالة والوطنية التي جاءت من الغرب والتي كان مصدر معانيها وأبعادها من الغرب، ورغم أنها كلمات من اللغة العربية وأنها واردة في الكتب القديمة الموروثة إلا أن معانيها المختلفة الجديدة مأخوذة من الغرب؛ لأن تلك المعاني تنمو وتتطور مع نمو الحضارة والثقافة وبالتالي فالمعاني الجديدة المتطورة لم تكن موجودة في الماضي، يقول نجيب محمود في هذا الشأن:" **إنني إذ أدعو إلى ثقافة تساير العصر، فذلك لعلمي بأن الثقافة قد تتغير معانيها مع تعاقب العصور**"[71].

ومعنى ذلك أن الثقافة متطورة ومتغيرة عبر العصور ولذلك نجد نجيب محمود يدعو إلى ثقافة العصر والأخذ بها.

لقد ربط زكي نجيب محمود حرية التفكير بالعقل من خلال رسم خطة للسير عليها والوصول إلى الهدف، بحيث يبدأ نشاط العقل في عملية التفكير الحرة عندما يبدأ بالبحث في الأصول، فما يراه العقل قابلا للتفسير يكون بذلك الفكر حرا.

إن الدكتور أخذ يشرح معنى حرية التفكير بما توحي إليه من معان ومقاصد مختلفة فنجده يعرفها بقوله:" **بأنها عملية ذهنية لرسم خطة عمل نحقق بها هدف ما**"[72].

[71] زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابق، ص80.

[72] زكي نجيب محمود، عن الحرية أتحدث، مصدر سابق، ص68.

أما التفكير فيعرفه بأنه:" **عملية ذهنية لرسم خريطة العمل المؤدي إلى تحقيق هدف ما**"[73].

ويتضح لنا من خلال تعريفه أن حرية التفكير لها شقين أوطرفين؛ أولهما العملية الذهنية أو عملية التفكير، وثانيهما الخطة التي توضع للسير وفقها لتحقيق الهدف المراد تحقيقه، وحسب رأي زكي نجيب محمود أنه لكي تتحقق الحرية الفكرية لا يمكن أن يتدخل أحد، فإذا حدث تدخل أو حصل عائق تنعدم حرية التفكير، ولكن قبل أن تتحقق حرية التفكير لابد من تحرير العقل من كل عوامل التخلف والقصور والعجز لأنه هو من يقوم بالعملية الذهنية فلولاه لما يكون هناك عملية ذهنية ولا وجود لمخطط سير.

إن زكي نجيب محمود يحاول إقامة ثورة فكرية جديدة قائمة على أسس من العصر، حيث أنه لم يقنع بالفكر العربي السائد في الحياة، وهذا ما جعله يقول:" **إنني لم أقنع بكل ما حدث في حياتنا الفكرية من تغيرات، كان من شأنها أن تحدث لنا أسسا جديدة في السياسة والاقتصاد والتعليم وبناء المجتمع، وذلك لأنني برغم ذلك كله، فقد رأيتها تغيرات على السطح، ولم تبلغ من العمق حد الثورة الفكرية التي تبذل لنا وجهة النظر الشاملة، فما زال الناس- وحتى المثقفون منهم- تميل بهم نفوسهم نحو التشكيك في العقل الإنساني وقدرته، وفي العلم ومداه، وعقيدتي أن ثورة فكرية كهذه، لم تحدث لنا خلال هذا القرن كله، برغم التغيرات الكثيرة والهامة التي طرأت على صورة الحياة وذلك لأن النمط الفكري القديم باق كما كان دائما**"[74].

وهذا يعني أنه رغم التغيرات التي حدثت في الحياة الفكرية العربية لم تحدث أسسا جديدة في العديد من المجالات وزكي نجيب محمود يرى بأنها مجرد تغيرات سطحية لم تتجاوز الثورة الفكرية التي تعبر عن دخول العصر، وحسبه مادامت الأسس المعتمد عليها قديمة متوارثة

[73] زكي نجيب محمود، عن الحرية أتحدث، مصدر سابق، ص47.

[74] زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابق، ص123.

ثابتة لا تتزعزع فإن الثورة الفكرية ستظل ناقصة، وأنه لا يمكن اعتبار هذه الأفكار أفكارا جديدة لأنها ستظل دائما مجرد تغيرات على سطحية وذلك بسبب النمط الفكري القديم الذي لم يتغير وظل باق كما هو.

هنا نجد المفكر المصري يحاول استبدال الفكر الموروث بفكر جديد تكون نتائجه قائمة على قراءة الطبيعة ذاتها.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن زكي نجيب محمود يحاول إقامة فكر عربي أصيل خال من التقليد وحرا لا تحكمه قيود العالم الغربي، داعيا بذلك العلماء العرب إلى الخوض في غمار العصر فما وصل إليه المجتمع الغربي من تطور وحرية يستطيع العالم الشرقي وخاصة مصر الوصول إليه، وهذا لا يعني أن الفكر العربي الإسلامي عاجز بل فقط مقيد، وإزالة هذا القيد والتحرر هو الطريق للوصول إلى العصر، لكن للوصول إلى الهدف المنشود لابد من الرجوع إلى المبدأ أو الأساس الأول لضمان منهج سير متوافق مع روح العصر، لأن الفكر لا يبدأ من فراغ فحسب نجيب محمود أن كل مجال من مجالات الحرية الفكرية لها أساس خاص تبدأ به، وبالتالي فما كان يسعى إليه نجيب محمود هو كسر ذلك الجمود الفكري بدعوى منه للحرية.

ثالثا: الدعوة إلى قيام الحرية الثقافية

إن الأساس الثالث الذي دعا إليه زكي نجيب محمود لتحديد مفهوم الحرية، فهو تركيزه على النهوض بالحياة الثقافية العربية محافظا من خلالها على الإرتباط بالهوية التاريخية من جهة، ومواكبتها نحو التطور والعصر من جهة أخرى، حيث نجده يحاول أن ننشر التراث القديم على أساس أنه هو الموضع المتين الذي يقوم عليه البناء لهذا نجده يقول:" **ونبدأ بنشر التراث الفلسفي، لأنه بمثابة وضع الأساس الذي سيقوم عليه البناء الجديد، كأنما يريد الأبناء أن يستوثقوا من استقامة طريقهم إذ هم سائرون على سبيل موصولة من**

أسباب الحضارة، يسلم فيها الآباء ذخيرتهم إلى أبنائهم، وإن هذه العودة إلى الماضي لهي دائما دعوة إلى الحرية الفكرية- غير مباشرة"[75]، وهنا نجده يتساءل:" **كيف السبيل إلى ثقافة نعيشها اليوم، بحيث تجتمع فيها ثقافتنا الموروثة مع ثقافة العصر الذي نحياه؟**"[76].

لقد كانت تلك هي المشكلة التي تقف عائقا في وجه المثقف العربي في الزمن الراهن والتي لم يجد لها مخرج، فنجيب محمود يرى بأن المجتمعات العربية تعاني فقرفي الإبداع الثقافي الذي كان سببه التجاهل من طرف الجماعة المثقفون، وهنا راح مفكرنا يبحث عن حل لنهوض ثقافة الوطن العربي وخاصة مصر؛ حل يجمع فيه الموروث الثقافي الأصيل مع حضارة العصر دون فقدان الهوية الوطنية، وكانت هذه القضية هي السؤال الذي طرحه في مقدمة كتابه" **تجديد الفكر العربي**" حيث" **تساءل فيه- كيف نوائم بين ذلك الفكر الوافد الذي بغيره يفلت منا عصرنا أو نفلت منه، وبين تراثنا الذي بغيره تفلت منا عروبتنا أو نفلت منها...؟**" [77]، استمر زكي نجيب محمود في البحث عن سبيل لثقافة موحدة تجمع القديم مع الحاضر إلى أن توصل إلى إجابة وجد فيها بأن هذه المشكلة قد فرضت نفسها على مثقفي العالم العربي منذ اللحظة التي شعر فيها هؤلاء بوجود ثقافة ذات طابع عالمي تجتاح الجو الفكري للبلاد العربية، ويتعين تحدي علاقاتها بالثقافة الموروثة عند الأسلاف.

وفي ظل دعوته للنهوض بالحياة العربية الثقافية لمواجهة العصر كان قد ركز على فكرتين أساسيتين همافكرة "الحرية" وفكرة " التعقيل"، وكان قد ركز عليهما لأنه يستحيل أن تكون الحرية دون اللجوء إلى العقل والاحتكام به، وبالتالي فإن الحرية تعني التحرر من القيد الذي يكمن في الجهل والخرافة وعدم فهم الناس للظواهر والأحداث، وهذه القيود هي التي يسعى مفكرنا إلى التخلص منها للوصول إلى النهضة؛ وبالتالي نجده يقول في هذا الجانب:" **لماذا**

---

[75] زكي نجيب محمود، من زاوية فلسفية، مصدر سابق، ص18.

[76] زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، دار الشروق، بيروت، ط2، 1974، ص7.

[77] زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مصدر سابق، ص6.

تقدمت أوروبا بعد تخلف، وتخلفنا بعد تقدم؟ إننا نسأل سؤالنا هذان مع أن الجواب أمامنا يخرق العين وهو: لقد حاولت أوروبا منذ نهضتها في القرن السادس عشر أن تقف الوقفة العقلية العلمية التي تبتكر بها كل يوم حقيقة جديدة عن دنيانا هذه، التي نعيش على أرضها ونتنفس هواءها، بينما اتجهنا نحن خلال الفترة نفسها نحو الماضي نبدي في نصوصه المكتوبة ونعيد[78].

لقد حاول زكي نجيب محمود الإجابة على سبب التخلف الثقافي الذي يسيطر على الوطن العربي، حيث انتهى إلى إجابة قال فيها:" **ذهبت قدرتنا على خلق الفكر الجديد، واكتفينا بتبعية تقتفي أثر الأقدمين، في محاكاة بليدة عاجزة**"[79]؛ ومعنى ذلك أن المفكرين العرب لم يأتوا بالجديد، بل ذهبوا لقراءة ما أتى به القدماء في حين أن الأوروبيين اتجهوا إلى دراسة الواقع؛ وبالتالي فمن بين الإسهامات التي قدمها نجيب محمود في سبيل النهضة الثقافية هو دعوته لفكرة الحرية والعقل.

وللتفصيل أكثر: **جاءت الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون، ووصلت إلى شواطئ الإسكندرية سنة1797، أي قبيل فاتحة القرن التاسع عشر بسنتين، و كان مع الحملة جماعة من العلماء الفرنسيين في تخصصات علمية مختلفة فكان مما صنعه أولئك العلماء أن استدعوا كبار علماء الأزهر الشريف، جماعة بعد جماعة، ليطلعوهم على عجائب العلوم الجديدة، من ذلك– مثلا– أن يوقفوهم صفا، مشبكي الأيدي جارا مع جاره، ثم يمسون الواقف في أول الصف بسلك مكهرب، فتسري رعدة الكهرباء في جميعهم، فأما هم فيأخذهم العجب وأما العلماء الفرنسيون فيأخذهم الضحك، ولقد حدث يوما أن اغتاظ من تلك الألاعيب الصبيانية أحد الشيوخ، فقال لهم ما معناه: هل في علمكم الجديد ما**

[78] زكي نجيب محمود، هذا العصر وثقافته، 1982، ص55.

[79] زكي نجيب محمود، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

يجعل إنسانا موجودا هنا وموجدا في بلاد الغرب في وقت واحد؟ فأجابوا بقولهم إن ليس في علومهم ذلك لأنه محال، فرد قائلا: لكن ذلك ممكن في علومنا الروحانية[80].

وانطلاقا من تلك اللحظة التي تحدث فيها ذلك الشيخ ظهر هناك طريقين أو اتجاهين؛ إتجاه رافض للثقافة الغربية وما تنتجه من علوم، واتجاه آخر ينادي بثقافة الوافد الجديد فاتحا أبواب حضارة العصر الجديد ومازجا بين القديم والمعاصر، وهذه كانت بمثابة نقطة الانطلاق والتي ابتدأ بها رافع رفاعة الطهطاوي رئيس مدرسة الألسن التي تحاول إنشاء ثقافة مرتكزة على التراث وما نتج عن العصر الجديد.

إذن فالقرن الماضي كان قد بدأ بهاته الإشكالية التي أثارت جدالا عل ساحة الوطن العربي، حيث نتج عن هذه القضية مشكلة الحرية والتي تعتبر قضية قائمة بذاتها؛ ولقد كانت فكرة الحرية وليدة التساؤل حول الموقف الجديد الذي سوف تتخذه الأمة العربية من الغرب، فكانت الانطلاقة الأولى لهذه القضية قد بدأت من الناحية الفكرية لرفاعة الطهطاوي وذلك بعد عودته من باريس وتأثره بكل ما رآه في الغرب من حريات والتي لم يشاهدها في مصر من قبل، وبعد ذلك نادى بضرورة الأخذ بالثقافة الغربية الجديدة، والأخذ بشيء من حريتها، ومنذ أن بدأ رفاعة الطهطاوي يدعو إلى الحرية أخذت الدعوة إلى مشكلة الحرية تتسع، وبذلك أخذ مفهوم الحرية يرتفع ويتطور، يقول نجيب محمود:" **وهكذا نريد لحياتنا الثقافية أن تكون، فتجيء منسوبة إلى جذورها التاريخية من جهة، ومتطورة مع ظروف عصرها من جهة أخرى"[81].**

[80] زكي نجيب محمود، عن الحرية أتحدث، مصدر سابق، ص142.

[81] زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابق، ص91.

من كل ما ذكرناه من أسس أقامها مفكرنا نجده يحاول الوصول إلى نتيجة واحدة" **وهدف واحد يحاول تحقيقه وهو أن يضمن للإنسان حريته، وأن يجعل منطق العقل مدار أحكامه**"[82].

[82]زكي نجيب محمود، من زاوية فلسفية، مصدر سابق، ص40.

المبحث الثاني: أهم الدوافع والمؤثرات التي أدت بزكي نجيب محمود إلى كتابة فكرةالحرية.

إذا كان تقدم الأمة العربية مرهون بإنجازات الحضارة الحديثة المعاصرة، فإن نجيب محمود حاول التصدي لمشكلة تخلف العالم العربي وخاصة مصر، حيث قد اهتم بفكرة الحرية التي تمثل الشرط الجوهري حسبه للتقدم، ولجوءه للحرية كان بموجب العديد من الدوافع والمؤثرات التي دفعت به لمعالجة هذه القضية ومحاولة تطبيقها على ساحة العالم العربي؛ وهذه الدوافع نذكر منها:

مع دخول المستعمر البريطاني مصر عام 1882 بدأ الفكر الوطني مرحلة جديدة تبلورت فيها الدعوة إلى الحرية والعقل، حيث ظهر العديد من المفكرين العرب الذين كانوا هم الدافع الأساسي لتأثره وذلك من خلال ما دعوا إليه من حريات مختلفة، وهذا كان دافعا لنجيب محمود الذي كان يسعى جاهدا وراء هدف التقدم؛ ومن خلال تضارب الاتجاهات وسفره إلى لندن لنيل درجة الدكتوراه كانت رسالته" الجبر الذاتي" قد رسمت ببساطة العقيدة الفكرية التي سار على خطاياها طيلة مسيرته الفكرية، حيث أن أطروحته هاته كانت هي الانطلاقة الرسمية التي بدأ من خلالها الدعوة إلى الحرية والتي تمثل العقيدة الفكرية التي سارت مع نجيب محمود طيلة حياته، حيث كان يؤمن إيمانا جازما مطلقا بحرية الإنسان؛ تلك الحرية التي لا يمكن أن تكون إيجابية إلا إذا تحولت إلى فعل حسبه.

كذلك نجد أن الدافع الذي جعل مفكرنا يهتم" **بفكرة الحرية**" هو المقارنة الأولية بين ما يحمله الفكر التراثي القديم في البلاد العربية، وما يدعو إليه الفكر الغربي، فكان السبب الذي دفعه إلى الأخذ بثقافة الغرب وإتباع الأسلوب الحضاري الغربي لتحقيق الدرجات الأسمى من الحرية، هو ما رآه في الواقع الأوروبي المتقدم والواقع العربي المتخلف، حيث أن العالم الغربي كان قد لفت انتباهه من خلال إعلاء القيم الأخلاقية وتقديس الثوابت الإنسانية

وخاصة الحرية؛ ولاسيما في فترة الحرب العالمية الثانية والتي تعتبر فترة صعبة وعسيرة، كما نجده قد لاحظ المكانة الرفيعة للإنسان في ثقافة الغرب التي تصون له كرامته، فالمجتمع الغربي يعلي من قيمة الفرد ويعطي كل واحد مكانته الخاصة وبالتالي فالبلدان الأوروبية تعلي من حرية الفرد، إذن فذلك كان سبب في تأثره بالغرب وبتلك الحضارة والتي راح يبحث خلالها على سبيل لتحقيق التقدم المنشود للمجتمع العربي؛ وهكذا دفعته المقارنة الأولية بين ما يحمله الفكر العربي القديم من خرافات وتمسك بأفكار فات زمانها، وما يدعو إليه الفكر الغربي من إعلاء لقيمة الإنسان وتكريس حريته وإعلاء لقيمة العقل والعلم.

كما منحته الخلفية الثورية للمجتمع المصري فرصة لإبراز المنهج الذي اختاره، إذن فزكي نجيب محمود كانت لديه فرصة جوهرية في تلك الفترة ليجسد منهجه على أرض الواقع، فما كان يتداوله الناس في إقبالهم الشديد على تبني أفكار ومذاهب متناقلة دون أن يفهموا حقيقة ما تحتويه تلك الأفكار جعل العقل العربي في جمود وركود، إذن فما دام هناك قصور تام في استيعاب التراث وعجز في فهم أصوله فإن الإنسان العربي لن يحظى بالحرية.

من خلال كل ما سبق نجد أن العالم الغربي قد بنى حاضره من ماضيه ونسج من خيوط التحضر، بينما العرب لا يعطون أهمية للماضي الذي تركه الأسلاف بل يقومون بغزل خيوط لا أساس لها متكئين على ما تنتجه الدول الغربية، يقول نجيب محمود:" **وربما قيل إن أوروبا حين احتفظت بتراثها الفكري لتضمه إلى الحركة الكشفية العلمية أيام نهضتها، فإنما كانت تضم قديمها هي إلى حديثها هي، فلا تناقض، أما نحن إذا حاولنا مثل هذا الضم، فإنما نحاول به الجمع بين قديمنا نحن وجديدهم هم.. وهنا التناقض فيما يظهر، لكن اعتراضا كهذا ليس صحيحا على إطلاقه**"[83]، وبالتالي فنجيب محمود كان قد دعا إلى التقدم لأنه هو الدافع الأساسي حسبه لتحقيق التطور والعلم والحرية،يقول في هذا المجال:" **إننا إذ نقول إن الدعوة إلى الحرية سمة تميز فكرنا العربي المعاصر، نضع في اعتبارنا مظاهر قد تبدو تافهة إذا أخذت فرادى، لكنها هي القطرات التي يتكون منها التيار الدافق**"[84].

ويقصد بذلك أن الدعوة إلى الحرية هي الأساس الذي يقوم عليه تقدم الأمة العربية لكن البعض يعتبر تلك الدعوة مجرد شيء تافه لا معنى له، وهذا ما جعله يدعو إلى الحرية حيث بعدما عاد لدراسة التراث وجد بأن التراث يحمل القيم والتقاليد والعادات والآداب وتركه هو بمثابة انتحار للحضارة لأنه يحمل جهود العلماء والأدباء والفلاسفة السابقين، وهذا يعني أن المفكر زكي نجيب محمود بعدما عاد لقراءة التراث وجد أنه يحمل زاد معرفي كبير تركه الأسلاف يمكن من خلاله بناء طريق للتقدم، وبالتالي فقد دعا إلى العودة للتراث والاستفادة منه وذلك من خلال ما يحمله من زاد وفير من المعارف و المعلومات والأسرار، فمن خلال عودته للتراث لاحظ أن فيه جوانب عقلية وأخرى لا عقلية تؤدي إلى إفساده وقصوره وعجزه وهذا ما دفعه للمطالبة بتحرير التراث والفكر من لا معقوليته التي تفسده، فما رآه من قصور

[83]زكي نجيب محمود، عن الحرية أتحدث، مصدر سابق، ص ص66-67.

[84]زكي نجيب محمود، قشور ولباب، مصدر سابق، ص120.

في استيعاب التراث العربي وأصوله كان دافعا لتكريسه للقادم من خلال البحث في التراث القديم وذلك لتجنب الوقوع في أزمة ضياع الهوية الوطنية العربية واندثار الثقافة.

بناءا على ما تقدم طرحه فإن بدايات فكرة الحرية كانت قد انطلقت من رفاعة الطهطاوي الذي وجد أن الثقافة في البلدان الغربية تحمل في جوفها كنز فكري وأن الأمة العربية تحتاج لمثل هذا الزاد الوفير، وهذا ما دفعه إلى نقل تلك الأفكار إلى العالم العربي خاصة مصر محاولا بذلك القضاء على التخلف الذي تعاني منه الدول العربية من فكر وخرافات.

زكي نجيب محمود لم يقف عند حدود الفلسفة التحليلية، بل كان التحليل هو الوسيلة إلى التغيير الفكري الشامل وبالتالي فإنه لم يخرج من إطار الوضعية المنطقية أو الفلسفة التحليلية، لأنها كانت هي نقطة البداية التي انطلق منها الفيلسوف الدكتور.

في ظل الجهود التي بذلها للفوز بالحرية وظهور العديد من النزعات التي تنادي بالحرية، كان قد تأثر بالإتجاهات الفلسفية العربية المعاصرة والتي تتمثل في أربعة اتجاهات كان الجذر أو الأساس المشترك بينها هو الإنسان الذي يمثل محور الاهتمام فكان الاتجاه الأول يتمثل في الفلسفة التحليلية التي تعنى وتهتم بفلسفة العلوم السائدة في بريطانيا حيث أن فلسفة العلوم لها صلة بحياة الإنسان، والاتجاه الثاني الفلسفة البراغماتية وهذا الاتجاه السائد في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي كان محتواه أن أي فكرة تعد صحيحة، إذا كانت نتائجها نافعة للإنسان؛ فالمهم ليس أصل الفكرة من أين جاءت وكيف، بل ماذا يمكنها أن تعطي من نتائج نافعة للإنسان في حياته، أما الاتجاه الثالث فهو يتمثل في الفلسفة المادية الجدلية السائدة في شرق أوروبا والتي تدور حول الحياة الثقافية كلها التي يمكنها صيانة حقوق الإنسان، أما الإتجاه الرابع فهو إتجاه الفلسفة الوجودية في غربي أوروبا والتي كان فحواها حرية الإنسان[85]، وانطلاقا من هذا الأخير راح مفكرنا يقول في هذا الصدد:" **كنت لم**

[85]زكي نجيب محمود، قصة عقل، مصدر سابق، ص ص73-74.

أزل ماضيا في إعداد رسالتي للدكتوراه، وموضوعها- كما ذكرت- هو((الجبر الذاتي))- وهو موضوع- كما ترى- يمس حرية الإرادة بصفة أساسية وجوهرية، ودون أن أتعمد في البداية أن أتجه في بحثي مع هذا المذهب أو ذاك من مذاهب الفلسفة، فقد جاءت الأفكار منساقة نحو شيء يشبه مذهب برجسون في فكرته عن التطور الخلاق، وعن طبيعة الحياة كيف تبدع ما هو جديد، كما انساقت الأفكار كذلك نحو شيء يشبه حرية الإنسان عند بعض فلاسفة الوجودية"[86]، إذن فاتجاه الفكر الغربي هذا نجد أن همه الأول هو صون الإنسان من العوامل التي تقهره، وهذا ما دفع بالفيلسوف نجيب محمود إلى الدعوة على نشر مثل هذا الفكر في البلاد العربية لتكون بذلك الحياة في الأمة العربية تقدس مكانة الإنسان وتصون كرامته، يقول في هذا الشأن:" **ولذلك كان من التطور الطبيعي في حياتنا الفكرية-دون أن أتعمد شيئا عن تخطيط وتدبير- أن أجدني قد اتخذت لنفسي من اتجاهات الفلسفة المعاصرة، اتجاها هو في حقيقته منهج للتفكير، لا مذهب يورط نفسه في مضمون فكري بذاته، فكنت كمن وضع في يده ميزانا يزن به ما يشاء**"[87].

أكثر شيء كان قد أثر فيه هو تأثره بما رآه في الحياة المعاصرة من حرية سياسية واجتماعية وتأثره بالقرآن والدين وما يحتويه من أسراركما أن تأثره بالغرب واطلاعه الشديد على الثقافة الغربية جعله يحاول تطبيقها على الواقع العربي.

إن ما أنتجته الحرب العالمية الثانية من نتائج تتمثل في الثورات الاجتماعية التي تنادي بالحرية والاستقلال والعدالة والمساواة وما غيرها، فثورة 1952 فتحت المجال للحريات الاجتماعية التي أثارها نجيب محمود وقام بتحليلها وهذا ما دفعه إلى تقسيم الحرية إلى إيجابية وسلبية، كما أن الدافع الأساسي هو تأثره بالمفكرين العرب وما دعوا إليه من حريات.

---

[86]زكي نجيب محمود، المصدر نفسه، ص56.

[87]زكي نجيب محمود، مجتمع جديد أو الكارثة، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1983، ص246.

نجيب محمود قد عاصر القومية؛ حيث كان الدافع الذي جعله ينادي بالوصول إلى الحرية هو" **ارتباط النزعة القومية من جانبها السياسي الذي يحاول الفكاك من قيود المستعمر ليظفر بالحرية والاستقلال بالجانب الثقافي الذي حاول تثبيت الجذور المحلية في تربة الأرض، لتعود للأمة شخصيتها التي أوشكت على الضياع**"[88].

إن القضية الأساسية لتحقيق الحرية حسب المفكر نجيب محمود تكمن في مقومات البناء الثقافي الجديد التي تعتمد بالأساس على تمسك الأمة العربية الإسلامية بتاريخها وذخائرها وأصالتها من جانب، وحاضرها بعلومه وفنونه ونظمه الحديثة من جانب آخر، فمن خلال ما ذكرناه من أسس أقامها مفكرنا، نجده يحاول الوصول إلى نتيجة واحدة وهدف واحد يحاول تحقيقه وهو أن يضمن للإنسان حريته وأن يجعل منطق العقل مدار أحكامه.

بناءا على ما تقدم طرحه، إن ما يمكن قوله إن زكي نجيب محمود كان شديد الإطلاع على الثقافة الغربية ما جعله يحاول تطبيقها على الواقع العربي، وإنه لمن الواضح أن فكرة الحرية التي أثارها المفكر المصري كانت بسبب تأثره بما آل إليه الغرب أو ما وصل إليه الفكر الغربي والحياة الغربية، والتي كانت تمثل الدرجات المثلى من الحرية، فما دفعه إلى التفكير في الدعوة إلى الحرية وتطبيقها في الأمة العربية هي الأزمة التي تعاني منها الأمة الإسلامية والمعيشة المزرية التي تعانيها الدول العربية وبالأخص مصر في الوقت الذي يتميز فيه الغرب بالتقدم والتطور والازدهار وتقديس لحرية الإنسان، وهذا ما نجده في مشروع" **التراث والتجديد**" لدى حسن حنفي، وبالتالي فإن عقم حاضرنا سببه هو إهمال تاريخنا، وهنا يجب إعادة التفكير في إشكالية: **كيف جاز لذلك التاريخ الطويل المجيد أن يلد لنا هذا الحاضر في عقمه وذله؟**

[88]زكي نجيب محمود، من زاوية فلسفية، مصدر سابق، ص42.

الفصل الثالث: مفهوم الحرية وانعكاساتها في مختلف المجالات.

المبحث الأول: الحرية وتعدد المفاهيم.

المبحث الثاني: إنعكاسات الحرية في مختلف الميادين.

تمهيد

عرفت فكرة الحرية العديد من الاهتمام لدى المفكرين التنويريين منذ فجر النهضة الحديثة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، بل وأصبحت تمثل القضية الأساسية في فكر كل مفكر عربي؛ يحاول طرحها وإيجاد الحلول المناسبة للخروج من أزمة التخلف الذي تعانيه الدول الغربية، بحيث تعددت المفاهيم والآراء لمفهوم الحرية.

وقد تناول زكي نجيب محمود فكرة الحرية من حيث دراسة الواقع العربي المتأزم، وتحليله وطرحه كقضية أساسية محاولا إعطاء مفهوم لهاته الفكرة، ومحددا من خلالها أهم انعكاساتها على مختلف المجالات؛ لأنه هو وحده من وضعها تحت مبضع التحليل، وسلط حولها المجهر، طيلة مسيرة حياته الفكرية والتي كانت مشكلة تخلف العالم العربي هي الدافع أو السبب في تبنيه لهاته المسألة محاولا تحديد مفهومها، بغية إيجاد سبيل للخلاص من التخلف والقهر الذي تعانيه المجتمعات العربية وتحقيق هاته الفكرة.

- بناءا على هذا ما هو مفهوم الحرية عند زكي نجيب محمود؟

- ما هي أهم النتائج والانعكاسات الناتجة عن ذلك التعريف في مختلف الميادين؟

المبحث الأول: الحرية وتعدد المفاهيم

أولا: مفهوم الحرية بالشكل العام

أخذت الحرية العديد من التعريفات المختلفة لدي العديد من الفلاسفة والمفكرين، فمنهم من قال:" إنها استقلال عن أي شيء ما عدا القانون الخلقي."

ومنهم من قال:" إنها القدرة على التصرف طبقا لما تحدده الإرادة".

من قال:" إنها الأحوال الاجتماعية التي تنعدم فيها القيود التي تقيد قدرة الإنسان على تحقيق سعادته."[89]

الحرية بالمعنى العام:" خاصة الموجود، الخالص من القيود، العامل بإرادته أو طبيعته"[90]"فالحرية هي الخلوص من الشوائب أو الرق أو اللؤم."

الحرية في اصطلاح أهل الحقيقة على مراتب:" حرية العامة على رق الشهوات، وحرية الخاصة عن فناء إرادتهم في إرادة الحق، وحرية الخاصة عن رق الرسوم والآثار."[91]

ثانيا: مفهوم الحرية في الفكر العربي الحديث

اخترنا رافع رفاعة الطهطاوي لأنه هو أول من نقل مفهوم الحرية من بلاد الغرب إلى البلاد العربية، حيث نجده يعرفها على أنها:" رخصة العمل المباح، من دون مناع، غير مباح، ولا معارض محظور، فحقوق جميع أهالي المملكة المتمدنة ترجع إلى الحرية فتتصف المملكة للهيئة الاجتماعية بأنها حاصلة على حريتها، ويتصف كل فرد من أفراد هذه الهيئة بأنه حر... "[92]

---

[89] د سليم ناصر بركات، مفهوم الحرية في الفكر العربي الحديث، دار دمشق، بيروت، ط2، 1984، ص25.
[90] جميل صليبا، مرجع سابق، ص462.
[91] مراد وهبه، مرجع سابق، ص274.
[92] د سليم ناصر بركات، مرجع سابق، ص33.

والمقصود من ذلك أن الإنسان حر ومستقل في كل ما يفعله، وهو بالتالي حر الإرادة، كما أنه حر في فكره وعمله، وبالتالي فالغاية من التقدم والتطور والتحضر هو الفوز بأعلى درجات الحرية بالنسبة للفرد.

إن الحرية في الفكر العربي الحديث كانت قد اتخذت مفاهيم متطورة عما كانت تعنيه في السابق حيث اتخذت المعنى المدني من حيث الدلالة الاجتماعية والسياسية.

فالحرية كما يراها مصطفى الغلاييني في الفكر العربي الحديث أنواع منها:" حرية الفرد، وحرية الجماعة، والحرية الاقتصادية، والحرية السياسية، ولا تقوم للشعب قائمة إلا بهذه الحريات".[93]

إذن الحرية أخذت العديد من الأبعاد فكل واحد كيف بنظر لها، إلا أن رفاعة الطهطاوي يحاول أن يعطي مفهوما شاملا للحرية، فقد فهمها وقرأها على أنها العدل والإنصاف بحيث أعطاها بعدا اجتماعيا وسياسيا كان الوطن العربي بأمس الحاجة إليه" وما يسمونه الحرية ويرغبون فيه هو، عين ما يطلق عليه عندنا العدل والإنصاف".[94]

وبالتالي فهي شرط ضروري للمدنية بالنسبة لكل الأمم، وإن سعة التمدن في تلك الدول إنما تنشأ من الحرية... فالحضارة والتقدم والتربية في الأمم توفر الحصول على الحرية.

ثالثا: مفهوم الحرية عند زكي نجيب محمود.

يرى الدكتور زكي نجيب محمود أن الأمة العربية عامة والمجتمعات المصرية خاصة، تعاني من العديد من الأزمات في مختلف الجوانب، وهذه الأزمات لا يمكن تجاوزها إلا عن طريق رفع شعار الحرية الذي فرضته مسألة التقدم، ولهذا نجد مفكرنا ينادي بفكرة الحرية ويدعو

[93] د سليم ناصر بركات، مرجع سابق، ص69.
[94] د سليم ناصر بركات، المرجع نفسه، ص66.

للمطالبة بها كأساس لبلوغ النهضة ولابد لنا قبل الغوص في ما توحي إليه هذه الفكرة أن نأخذ مفاهيم مختصرة حول مفهوم الحرية لدى نجيب محمود.

ونظرا لكثرة الملفات التي يمتاز بها مفكرنا إلا أننا نجد مفهومه للحرية يختلف في العديد من المواضع ويأخذ معان وصياغات متعددة ومختلفة، ولكن كل المفاهيم التي طرحها وقدمها تظل تصب في قالب واحد، وذلك بسبب ما رآه من حريات مختلفة إثر دراسته لهذا المفهوم، وبالتالي فتعريفه للحرية أخذ أبعادا مختلفة؛ حيث نجده يفسر مفهوم الحرية بنطاق واسع قائلا:" فهي ليست الهتاف في المظاهرات...ثم نأوى إلى مخادعنا لنغط في النوم "[95]

وبالتالي" فالإنسان الحر يعرف فيتصرف على هدى معرفته تصرفا مؤديا به إلى تحقيق غايته وغير الحر لا يعرف أنه يقف أمام وقائع الحياة العملية في ذهول التائه الذي ضل الطريق "[96]

ويقصد بذلك أن الحرية ليست الخروج من المنازل والمشاركة في المظاهرات للمطالبة بالحرية أو المطالبة بشيء معين ثم العودة للنوم في الليل، لأن الإنسان العارف القادر يكون على علم بما يحقق له الحرية ويعرف الطريق الذي يوصله إلى الغاية المراد بلوغها أما الإنسان غير الحر فنجده يقف في ذهول مكتوف الأيدي أمام ظروف الحياة لا يعرف السبيل إلى الحرية.

بل الحرية وفق تعريفه:" هي مسؤولية وفكر وإرادة، لأن يكون الإنسان حرا، لابد أن يضطلع بعمل يؤديه أداء القادر الماهر العارف بأسرار مهنته"، ونجده هنا يضرب مثلا حول حرية الطبيب وهي أن يعرف أين يكون شفاء مريضه وكيف؟، وحرية القاضي هي أن يعرف

[95] زكي نجيب محمود، عن الحرية أتحدث، مصدر سابق، ص62.
[96] زكي نجيب محمود، المصدر نفسه، ص63.

مسالك القانون وحناياه، ليعرف أين يقع منها من قدموه إليه ليحاكمه، وبالتالي هكذا يكون معنى الحرية في كل ميدان من ميادين العمل "[97]

ويفهم من هذا أن الحرية هي مسؤولية الفرد وفكره وإرادته تجاه العمل المراد تأديته؛ بحيث يكون ذلك الفرد مطلع على جميع أسرار مهنته من مختلف الجوانب فحرية الطبيب هي أن يعرف مكان المرض وكيف يكشف عليه، وحرية القاضي تكون في اطلاعه على جميع القوانين ليعرف الحل لكل قضية تأتيه لعرف مكان المتهم من القضية المطروحة عليه وبالتالي إصدار الحكم، وعليه فإن الحرية نجدها في كل مجال من مجالات العمل .

كما نجده يعرف الحرية في موضع آخر بأنها:" الحرية في صميم معناها هي القدرة على العمل في الميدان الذي نريد أن نكون أحرارا فيه "[98]

ويفهم من هذا التعريف؛ أن الحرية في ذات معناها هي قدرة الشخص على العمل في المجال الذي يريد أن يعمل فيه ويكون فيه حرا وبمعنى أوضح الحرية يصنعها الإنسان بنفسه إذا أراد أن يكون حرا من خلال الميدان أو المجال الذي يريد أن يكون حرا فيه.

ويعرفها كذلك بأنها:" الحرية قوة وقدرة وإنجاز، وليست هي مقصورة على مجرد فك القيود، فالإنسان حر بمقدار ما أصبح في قدرته أن يصنعه "[99]

ومعنى ذلك؛ أن الحرية تكون في قوة الفرد وقدرته على الإنجاز، وليست محصورة فقط في فك القيود لأن الإنسان يكون حرا بقدر ما حاول أن يصنع حريته، وبالتالي فالحرية هي المعيار الذي نقيس به درجات تقدم الإنسان.

إن الاختلاف في تحديد مضامين الحرية جعل نجيب محمود يعطي تعريفا خاصا حسب وجهة نظره... وبالتالي فإن الحرية تمس جميع جوانب الحياة .

---

[97] زكي نجيب محمود، عن الحرية أتحدث، مصدر سابق، ص63.
[98] حصاد السنين، مصدر سابق، ص81.
[99] زكي نجيب محمود، رؤية إسلامية، مصدر سابق، ص64.

المبحث الثاني: انعكاسات الحرية في مختلف الميادين

لقد كانت فكرة الحرية التي دعا إليها الفيلسوف زكي جيب محمود وحاول تطبقيها في البلاد العربية والمجتمعات المصرية قد حصدت العديد من النتائج، جعلت الوطن العربي ينتهي للعديد من الحريات في مختلف الجوانب، وبذلك فمفكرنا لم يستطيع تطبيق ما أراده بالمعنى الكامل، فالحرية كانت في تطور مستمر من مجتمع لآخر ومن ثقافة إلى أخرى؛ بحيث كانت في كل عصر أو في كل فترة من الزمن كانت تحمل معنى مختلف، ولكن كل معنى مرتبط ومبني على المراحل السابقة، يقول نجيب محمود في هذا الشأن:" إن مفهوم الحرية أخذ يتسع ويعمق معنا على تتابع المراحل الزمنية، التي كانت في الوقت نفسه هي المراحل السياسية كذلك، فكانت كل مرحلة منها تتمسك بما كسبته المرحلة السابقة، ثم تضيف إليها طموحا نحو مزيد تسعى إلى تحقيقه، بحيث لو أردنا الآن أن نرسم تخطيطا يصور الأطوار التي اجتزناها في طريقنا إلى الحرية– أو قل إلى الحريات المنوعة الكثيرة– جاء الرسم شبيها بالعمارة الإسلامية، التي كان كل طابق علوي من البناء فيها، يوسع من رقعته عن الطابق الذي تحته. "[100]

ومعنى ذلك أن مفهوم الحرية متطور عبر العصور ففي كل عصر يتسع أكثر وكلما يتسع كلما يعمق، حيث أن كل مرحلة تقوم على المرحلة التي سبقتها من خلال التمسك بها وإضافة الجديد عليها وذلك نتيجة للطموحات التي يسعى الناس لتحقيقها حيث لو جاء الرسم لتلك الأطوار سيكون يشبه العمارة التي كل طابق فيها أساس لبناء الطابق الذي فوقه ويوسعه.

ففكرة الحرية أخذت تتسع إلى أن وصلت لتشمل حرية المرأة، والحرية السياسية، والحرية الاقتصادية وما غيرها من الحريات، وذلك راجع إلى تطور العلم والتكنولوجيا الغربية" وبهذا

[100] زكي نجيب محمود، عن الحرية أتحدث، مصدر سابق، ص145.

المقياس يمكنك أن ترى كم نمت ((الحرية)) وكم اتسعت آفاقها وعلت درجاتها بفضل ((العلم)) الطبيعي في صورته العصرية..." [101]

وبالتالي فالعلم هو الدافع الأساسي الذي أعطى الحرية درجات عليا وتطور الحرية مرهون بتطور العلم .

إنما لاحظه نجيب محمود في تلك الفترة من الزمن أن التاريخ الفكري الحديث هو مجرد مجموعة حريات يطالب بها المواطنون، فكل ما تحقق لهم جانب من تلك الحريات التي يطالبون بها نادوا بذلك للمطالبة بحريات أخرى، وهذا ما جاء في قوله:" وما تاريخنا الفكري الحديث والمعاصر، إلا سلسلة، من جهود بذلت للمطالبة بالحريات المختلفة، كما وكيفا، فكلما تحقق للناس جانب من جوانب الحرية أو تحقق لهم نوع من أنواعها بقدر قليل أو بقدر أكثر من القليل، طالب قادة الفكر بجانب آخر، أو بنوع آخر وبقدر أكبر مما قد ظفر به المواطنون "[102]

والمقصود من هذا الكلام؛ أن التاريخ الفكري في الفترة المعاصرة ما هو إلا مجموعة حريات يطالب بها الأشخاص فكلما تحقق لهم الجاني الذي طالبوا به أو تحقق لهم جزء منه، يطالب قادة الفكر بعد ذلك بجانب أخر غير الجانب الذي تحقق للمواطنين.

في ظل البحوث والاطلاعات المختلفة التي قام بها مفكرنا حول المجتمع الأوروبي لاحظ بأن الشعوب في تلك المعمورة كانت تربي أبناءها منذ الصغر على التقاط الحرية من خلال الكشف عن أسرار الكون والاطلاع على السبل التي تؤدي بهم لاكتساب الحرية، وهذا ما جاء في قوله:" فالشعوب التي نراها حرة بأوسع معنى مستطاع لهذه الكلمة، لم تلتقط حريتها تلك التقاطا هينا من قارعة الطريق، بل تولت تربية أبناءها على حمل تبعة الحرية بكل أثقالها، وهي تبعة تشمل، فيما تشمله، عناء الكشف عن المجهول من سر الكون الذي يضن

[101] زكي نجيب محمود، حصاد السنين، مصدر سابق، ص254.
[102] زكي نجيب محمود، عن الحرية أتحدث، مصدر سابق، ص6.

بنفسه أن يتبدى إلا لمن سعى، ويمثل هذا... فقد أحس صاحبنا يومئذ أن أهله في وطنه يربون أبناءهم على خوف من الحرية وتبعاتها، ولا مفر من أن يستبدلوا بتربية تقتل وتميت، تربية أخرى تفتح أمام الناشئين طريق النجاة. "...[103]

ويفهم من ذلك أن الشعوب الغربية التي نراها تمتاز بالحرية بأعلى درجاتها لم تكن مجرد حرية التقطوها من الطريق، أو بمعنى آخر لم يجدوها جاهزة بل عملوا جاهدا لاكتسابها وتحملوا الأعباء الثقيلة من أجل الحصول عليها، وبالتالي فصاحبنا لاحظ بأن الشعوب الغربية تعلم أبناءها منذ الصغر كيفية كسب الحرية بشكل واسع، وذلك من خلال مواجهة مصاعبها والبحث في أسرار الكون وبالتالي كان قد انتبه إلى أن أهل وطنه يربون أبناءهم على الخوف من الحرية منذ الصغر ومن تحمل أثقالها، وأنهم لا حاجة في ذلك إذا استبدلوا تلك التربية المبنية على الخوف بتربية تفتح لهم أبواب المستقبل المتحضر وفتح طريق النجاة وهكذا نجد أن العرب يعتقدون بأن الفوز بالحرية مرتبط بشخص واحد عندما يعطون كل الحق لحاكم واحد يحكمهم على اعتبار أنهم سينالون ما يتمنون من الحريات، وبالتالي" فإذا كانت الرغبة في هذه الحرية جزء من فطرته، فجزء آخر من فطرته كذلك أن يخاف من الحرية لثقل أعبائها، ومن ثم نراه يعمل على أن يحيل الاختيار لسواه إذا وجد، وعندئذ يوهم نفسه بأنه حين أسلم إرادته لحاكم يحكمه. ويختار نيابة عنه، إنما فعل ذلك بإرادته الحرة، وأمثال تلك الإحالة واردة في الحياة السياسية عندما ينتخب أفراد الشعب عددا محدودا منهم ينوبون عنهم في الاختيار وصنع القرار، لكن الأمر كثيرا ما يتجاوز تلك الحدود المشروعة في الحياة الديمقراطية، مجاوزة تصل إلى ظهور فرد واحد يبتلع في جوفه إرادات المواطنين جميعا لتبقى إرادة واحدة هي إرادته، فلا تكون الحرية عندئذ إلا لرجل واحد"[104]

إن فكرة الحرية لم تتسع في المجتمع المصري، بحيث كان أغلب مثقفيها يعتقدون بأن التخلص من قيود المستعمر هي الحرية التي يحلمون بها؛ لكن في حقيقة الأمر لم يعرفوا

[103] زكي نجيب محمود، حصاد السنين، مصدر سابق، ص83.
[104] زكي نجيب محمود، المصدر نفسه، ص82.

بأن ذلك مجرد تحرر والذي يكفل لهم الطريق أو المجال ليكونوا أحرارا، وهذا ما جاء في قوله:" وهكذا ترى أن فكرة "الحرية" في بلادنا، حتى عند أكثر المثقفين، ضاقت حدودها، بحيث كادوا يقصرونها على التخلص من قيود الطاغية، بالمعنى السياسي في أغلب الأحيان، ومثل هذه النظرة الضيقة تضعهم في وهم كبير، إذ تجعلهم يتوهمون أنهم قد باتوا أحرارا وما هم في حقيقة الأمر بأحرار، فلأن تفك عنهم قيود المستبد- على اختلاف ضروب الاستبداد- لا يعني أنهم قد صاروا بذاك أحرارا- بل يعني أنه قد توافرت لهم الظروف التي تمكنهم من أن يكونوا أحرارا لو أرادوا."[105]

في بداية الأمر اعتقد زكي نجيب محمود أنه حينما تأزمت مشكلة الحرية في العالم العربي اعتقد بأنه وجد الحلول أو أشباهها في النتاج الغربي الأوروبي الحديث لكنه بعد ذلك كان قد نتج عن فكرة الحرية العديد من المشكلات كان لها خطرها حيث تطور ذلك المفهوم ليصل إلى حرية المرأة والدخول في عصر العلم وتطوراته؛ فالمرأة العربية الجديدة اليوم قد شغلت العديد من المجالات والمناصب، فهي طبيبة ومهندسة، ومدرسة وغيرها... وهي بالتالي غير امرأة الأمس.

ففي نهاية القرن العشرين، وبداية القرن الذي يليه وجد زكي نجيب محمود أن المسألة التي طرحها لا تزال عصية متوقفة، ولا يزال المفكرين العرب عاجزين على تقديم تطبيق لحل الأزمة والموقف الذي تعاني منه الدول العربية والمجتمعات المصرية، وبالتالي لازال العرب لم يحظوا بمنهج عقلاني يضمن لهم السير على طريق صحيح، فما دام تجاهل معاني القرآن والسنة في استمرار فلن تقوم للعرب قائمة نحو التقدم والحرية.

فما المصير الذي ينتظر الأمم العربية بالرغم من أن المفكرين العرب يسعون جاهدا لتحقيق حاضر أفضل والفوز بالحرية ومحاولة تطبيق الفكر إلى فعل وهي رامية به في الغبار والأرشيف من دون أن تعطيه قيمة، وبالتالي فهذا التجاهل للجهد الكبير الذي قام به

[105] زكي نجيب محمود، حصاد السنين، مصدر سابق، ص ص80-81.

المفكرين العرب جعل الحضارة في آخر الركب الحضاري مقلدة الغرب من جهة، ومتجاهلة التراث من جهة أخرى.

إلى حد الساعة وبرغم الكثير من الثورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية... التي تنادي بالحرية، فهي لم تدفع بالمجتمعات العربية ولو بالقليل إلى الفوز بالحرية وتحقيق قدر مميز من التحضر.

إن ذلك القصور والعجز الذي تعانيه البلدان الشرقية يكمن في عدم الفهم الصحيح للسنة الكونية والمفاهيم العلمية التي يوحي إليها الدين الإسلامي، يقول نجيب محمود:" وإلى هذه الساعة التي نكتب فيها هذه السطور، لا معركة الكلام إنتهت بأصحابها إلى إقناع واقتناع، ولا معركة السلاح إنتهت بنا مع العدو إلى موقف نطمئن له ونستريح"[106]، وبالتالي فالفكرة التي قدمها مفكرنا قد تنتهي بالأمة العربية إلى الدمار الحضاري ولذلك لابد من التمسك بالدين...

[106] زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مصدر سابق، ص82.

الخاتمة

من خلال ما تم تقديمه في هذا البحث الموجز، ننتهي إلى نتيجة عامة نحاول من خلالها استخلاص ما قد مرت به حياة مفكرنا زكي نجيب محمود من مراحل حافلة بالأحداث والتحولات الفكرية التي كان لها دورا كبيرا خلال مسيرة حياته الفكرية، والتي كانت بمثابة الانطلاقة التي زرعت في مفكرنا روح البحث والتطلع في خبايا المجتمع المصري خاصة، والمجتمعات العربية عامة؛ بهدف البحث عن سبيل للوصول إلى الحرية، وما زاد فيه رغبة وتشويقا لمواصلة سيره هو تلك الفترة التي انتقل فيها إلى لندن لنيل الدراسات العليا، وأطروحته التي قدمها في درجة الدكتوراه، والأكثر أهمية من ذلك بعدما تأثر بالوضعية المنطقية انطلاقا من محاضرات الدكتور" **ألفرد آير**" وبالفلسفة التحليلية وزعماءها الذين كانوا سببا في تبنيه للوضعية المنطقية وخاصة" **راسل وهيوم**".

لقد مثلت مرحلة العودة إلى التراث منعرجا هاما في فكر صاحبنا؛ فبمجرد ما انتقل إلى الكويت وبزيارته المتكررة لمكتبتها التي كان يتردد إليها بين الحين والآخر بات له فكرا آخر وطريقا جديدا يحاول أن يسلكه، فبعد أن اطلع على الفكر العربي الإسلامي أصبح لديه تحول تام، فانطلاق لقراءة التراث؛ حيث وجد بأن هذا الأخير يحتوي على العديد من المواقف التي بإمكانها حل الأزمة العربية.

فمن النتائج التي كان قد توصل إليها زكي نجيب محمود من خلال تتبعه للتراث العربي، أن الثقافة العربية الإسلامية دفعته إلى النظر للتراث؛ حيث أراد أن يقيم بناء جديد قائم عل جانبين: أولهما تتبع طريق المعاصرة والتطور، والجانب الثاني الإقتداء بالقديم أو بكل ما هو عربي قديم، حيث حاول المزج بين الطابع الغربي والطابع العربي القديم.

إنما كان يسعى إليه المفكر زكي نجيب محمود هو محاولة التصدي لمشكلة تخلف العالم العربي وما يعيشه المجتمع المصري من حياة مزرية، وجهل، وطغيان، وحرمان، وبالتالي فزكي نجيب محمود كان من بين أبرز مفكرين العرب العمالقة الذين طرحوا مشكلة التفاوت بين العالم الغربي المتقدم، والعالم العربي المتخلف، محاولا البحث عن حلول لتلك الأزمة، وهو ما قد لجأ إليه أوائل المفكرين العرب كل على حسب رأيه المختلف.

طرح زكي نجيب محمود فكرة الحرية وذلك لعدة أسباب تعانيها الأمة العربية والمصرية بالخصوص، وما شاهده من اختلاف بينها وبين الدول الأوروبية، حيث دعا خلالها لإتباع المنهج العلمي والكشف عن أسرار الكون كأساس أو كوسيلة لعودة العالم الإسلامي للريادة، وإخراجها من التخلف الفكري والركود الذي يعانيه العقل العربي، وبناء واقع فكري متقدم أصيل يشمل جميع المجالات؛ وخاصة المجال الاجتماعي والسياسي والثقافي.

لم تكن تلك الفكرة التي طرحها نجيب محمود قد جاءت من عدم؛ ولكن كانت بسبب ما شاهده من تفاوت بين القيم وتقديس للحرية، وخاصة الحرية الفردية التي امتازت بها المجتمعات الغربية لأن الفرد العربي تداس كرامته ويهان، وهذا ما كان سببا في غياب الحرية؛ فالعقل العربي حدث له جمود فكري وهو لم يعطي قيمة للتراث، فما تركه الأسلاف من أسرار كان الدين الإسلامي يدعو إليها.

حاول الفيلسوف زكي نجيب محمود أن يضبط تعريفا للحرية نظرا لتعدد الآراء والتعريفات، لكنه وجد بأن مفهوم الحرية متطور حسب الزمن ومتسع؛ فلكل عصر مفهومه الخاص حسب الظروف التي يمر بها، وبالتالي فالتعريفات التي قدمها كان لها عدة نتائج وانعكاسات في مجالات مختلفة، وبالتالي فهو لم يستطع تطبيق الحرية بصف كاملة في المجتمع العربي.

نستنتج في الأخير أن الدكتور زكي نجيب محمود حاول أن يساهم ولو بالقليل لإبداء رأي خاص وإعطاء حل لإخراج العالم العربي والمجتمع المصري من التخلف والتبعية، وبالتالي يكون له الفضل في محاولته كشف الضماد عن الجروح التي أصابت الأمة العربية وحاول إخراجها من مأزقها، لإيجاد الحلول للأزمة التي تجتاح العالم العربي؛ مثلما فعل المفكرين العرب السابقين، وبالتالي لا يمكن إعطاء خاتمة نهائية لهذا الموضوع لأن فكرة الحرية في تطور واستمرار، ولا يمكننا وضع حد نهائي لها لأنها ولحد الساعة لازالت موضع بحث لدى المفكرين العرب.

قائمة المصادر والمراجع

- **قائمة المصادر:**

-**زكي نجيب محمود، المنطق الوضعي**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1951، القاهرة.

-_____، **المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**، دار الشروق، ط2، 1974، بيروت.

-_____، **برتراند راسل**، دار المعارف، ط2، 1956، مصر القاهرة.

-_____، **بذور وجذور**، دار الشروق، ط1، 1990، القاهرة.

-_____، **هذا العصر وثقافته**، دار الشروق، د ط، 1982، القاهرة.

-_____، **تجديد الفكر العربي**، دار الشروق، ط9، 1993، القاهرة.

-_____، **حصاد السنين**، دار الشروق، ط3، 2005، القاهرة.

-_____، **حياة الفكر في العالم الجديد**، دار الشروق، ط2، 1982، القاهرة.

-_____، **رؤية إسلامية**، دار الشروق، ط3، 1993، القاهرة.

-_____، **مجتمع جديد أو الكارثة**، دار الشروق، ط3، 1983، القاهرة.

-_____، **من زاوية فلسفية**، دار الشروق، ط4، 1993، القاهرة.

-_____، **عن الحرية أتحدث**، دار الشروق، ط3، 1989، القاهرة.

-_____، **عربي بين ثقافتين**، دار الشروق، ط2، 1982، القاهرة.

-_____، **قصة عقل**، دار الشروق، ط2، 1988، القاهرة.

-_____، **قصة نفس**، دار الشروق، ط4، 1993، القاهرة.

-_____، **قشور ولباب**، دار الشروق، د ط، 1988، القاهرة.

-قائمة المراجع:

-إمام عبد الفتاح إمام، **رحلة في فكر زكي نجيب محمود**، المجلس الأعلى للثقافة، 2001، بدون بلد.

-سعيد مراد، **زكي نجيب محمود آراء وأفكار**، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997، مصر.

-سليم ناصر بركات، **مفهوم الحرية في الفكر العربي الحديث**، دار دمشق، ط2، 1984، بيروت.

-فؤاد كامل، **أعلام الفكر الفلسفي المعاصر**، دار جيل، ط1، 1993، بيروت.

-م بوشنسكي، **الفلسفة المعاصرة في أوروبا**، ترجمة: د عزت قرني، دار عالم المعرفة، د ط، د ت، الكويت.

-محمود أمين العالم، **مواقف نقدية من التراث**، دار قضايا فكرية، د ط، د ت، القاهرة.

-قائمة المعاجم والموسوعات:

-زكي نجيب محمود وآخرون، **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، دار القلم، د ط، د ت، لبنان.

-جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج1، دار الكتاب اللبناني، د ط، 1982، بيروت.

-مراد وهبه، **المعجم الفلسفي**، دار قباء الحديثة، ط5، 2007، القاهرة.

-المذكرات:

-زكراوي بشير، **إشكالية قراءة التراث عند زكي نجيب محمود**،(مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة)(مخطوطة)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، السنة الجامعية 2016-2017.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	**أ–د**
الفصل الأول: الظروف العامة التي نشأ في ها زكي نجيب محمود	
المبحث الأول: حياته بين النشأة والتعليم	**07**
أولا: حياته	**07**
ثانيا: مؤلفاته	**09**
ثالثا: الجوائز التقديرية المتحصل عليها	**10**
المبحث الثاني: مسيرته الفكرية	**11**
المرحلة الأولى: مرحلة الوضعية المنطقية	**11**
أولا: نقد الحياة الاجتماعية	**11**
ثانيا: الدعوة إلى التجريبية العلمية"الوضعية المنطقية"	**16**
المرحلة الثانية: مرحلة العودة إلى التراث والأصول	**22**
أولا: بداية الإطلاع على التراث	**23**
ثانيا: البحث عن صيغة جديدة وبناء مشروع جديد	**25**
الفصل الثاني: الأسس والدوافع التي بنى عليها زكي نجيب محمود مفهوم الحرية	
المبحث الأول: الأسس التي بنى عليها مفهوم الحرية	**30**
أولا: الدعوة إلى العلم والمنهج العلمي	**30**
ثانيا: الدعوة إلى حرية الفكر	**35**
ثالثا: الدعوة إلى قيام الحياة الثقافية	**40**
المبحث الثاني: الدوافع والمؤثرات التي أدت بنجيب محمود لكتابة فكرة الحرية	**45**

الفصل الثالث: مفهوم الحرية وانعكاساتها في مختلف الميادين	
المبحث الأول: الحرية وتعدد المفاهيم	**53**
أولا: مفهوم الحرية بالشكل العام	**54**
ثانيا: مفهوم الحرية في الفكر العربي الحديث	**54**
ثالثا: مفهوم الحرية عند زكي نجيب محمود	**54**
المبحث الثاني: انعكاساتها في مختلف الميادين	**58**
خاتمة	**64**
قائمة المصادر والمراجع	**67**

الكلمات المفتاحية:

زكي نجيب محمود:Zaki NaGuib Mahmoud.

الحرية:Freedom .

العالم العربي:The Arab World.

العالم الغربي:The Western World.

التقدم:progress.

التخلف Defaulting.

ملخص

يعتبر موضوع الحرية إشكالية جد هامة ، ناقشها المفكرين والفلاسفة العرب في الفكر العربي الحديث والمعاصر؛ حيث كانت تمثل المحور الأساسي لقيام حضارة معاصرة متطورة بالنسبة للأمة العربية الإسلامية، وهي إشكالية أثارت جدلا كبيرا بين المفكرين والفلاسفة والباحثين الذين كان لهم نفس الهدف الذي يسعون إليه، والذي هو إيجاد سبيل للخروج من أزمة التخلف الحادة التي تعانيها المجتمعات العربية، وإذا بحثنا في الأصول القديمة التي تركها الأسلاف وفي مقومات الحضارة؛ وجدنا أنها- الأصول القديمة- تحتوي على كنز وفير قد يؤدي بها إلى قيام حضارة جديدة متطورة ومتحضرة، وذلك هو الهدف الذي كان يريد زكي نجيب محمود الوصول إليه انطلاقا من مقومات الهوية الوطنية العربية التي لا يمكن تجاهلها ولا يمكن تخطيها، حيث وجد نجيب محمود أن المجتمعات العربية لا يمكنها القيام مادامت لم تحصل على حريتها، وبالتالي راح يبحث عن سبيل للفوز بالحرية محددا بمفهومه الخاص ماذا تعني كلمة الحرية، وما هي أهم الطرق المؤدية لتحقيق هاته الأخيرة والحصول عليها للارتقاء والتقدم والحضارة.

Abstract

The issue of freedom is a very important problem that was discussed by Arab thinkers and philosophers in modern and contemporary Arab thought , as it represented the main axis for the emergence of an advaned contemporary civilization for the Arab islamic nation . Finding a way out of the acute crisis of backwardness that Arab societies are suffering from, and if we examine the ancient origins left by the ancestors and the components of civilization, we find that they contain an abundant treasure that may lead to the emergence of a new, advaned and civilized civilization, and that is the goal that zaki Naguib Mahmoud wanted to reach based on the components of the Arab national identity that cannot be ignored and cannot be overlooked, as Nagib Mahmoud found that Arab societies cannot stand as long as they do not obtain their freedom, and therefore he is lookina for a wav to win freedom defind in his own sense, that does the word freedom mean ?what are the most important ways to achieve the latter and obtain them for advancement, progress and civilization ?